



المعيزات الدخيلية

مجلة فصلية - العدد ٤٢ (كانون الثاني - نيسان ٢٠٢٤)



ضرورة الاتحاد

أمام شبكة الفساد





كلمة التحرير

أيها الأخوة القراء:

الإنسان يفكر بالكلمات، ويوسع آفاق فكره باللغة. لهذا لا يستطيع المرء اكتشاف طريقه نحو آفاق التفكير الإسلامي الواسعة بلغة ضيق نطاق كلماتها ومفرداتها، أو تضاربت معاني مفاهيمها. يقول أحد المفكرين: "إذا أردت تغيير أمة، فابدأ أولاً بتغيير كلماتها ومفرداتها!".

فقد جرى خلال فترة من الفترات في البلاد الإسلامية تحميل كلمات ذات أصول دينية مثل "الشريعة، والطريقة، والتكية، والمرشد، والمريد، والذكر" بمعاني سلبية ومستهجنة، وجُعِلت أسيرة لها في أذهان الناس. وذلك كان أساساً لوقوع الكثير من المسلمين الأبرياء إما في دائرة الإدانة والاتهام أو الحرمان.

اليوم تتعرض الكثير من المفاهيم الإيجابية مثل "التصوف، والطريقة، والجماعة، والإمام، والخدمة، والطاعة، والتسليم، والإخلاص" لخطر محقق متمثل بفقدان أهميتها بسبب الذين يستغلون المشاعر والعواطف الدينية لدى الناس. والواقع أن الذنب ليس ذنب هذه المفاهيم، وإنما الذنب ذنب الذين يلوثون ويشوهون النزاهة والطهارة التي في داخلها.

فكما أن المياه الملوثة بالأوساخ والطين لا تفقد جوهرها النقي، فكذلك لا يمكن أن تفقد الكلمات والتعابير التي صارت مثل حجارة لبنية التفكير الإسلامي أهميتها، ولا يصيبها خلل بسبب بعض ممن استخدموا روحانياتها مطيئة لأعمال ومصالح دنيوية.

يوجد اليوم الكثير من المفاهيم التي لفها السواد واستهجنها الناس لمجرد استخدامها من قبل شرذمة من الاستغلاليين. مع أن مجتمعنا فيه الكثير من المخلصين لمحتوى تلك الكلمات، ومن أهل الصدق والاستقامة؛ وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها.

والخلاصة أن أهل الفتن والفساد يلصقون بمفاهيمنا وتعابيرنا الإيجابية البناء بطاقات ولافتات سلبية ومستهجنة. ويحاولون وضع جميع المسلمين موضع الإدانة والشبهة بسبب بعض ممن يستغلون الدين. إنهم يلعبون لعبة خبيثة وخسيسة لإلحاق الضرر بأفكارنا ومشاعرنا.



المحتويات

الميزاب الذكي

مجلة تصدر كل أربعة أشهر

العدد الثاني والأربعون

(كانون الثاني - نيسان ٢٠٢٤)

رئيس التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

مدير التحرير

حسام يوسف

هيئة التحرير

بيت الله دميرجي أوغلو

حسام يوسف

آدم أزدмир

د. مراد قايما

لقمان حلوجي

الترجمة و التصحيح

محمد عز الدين سيف

التصميم والتنضيد والخراج الفني

حسام يوسف

دار النشر والطباعة

Ikitelli Organize Sanayi Bölgesi Mahallesi
Atatürk Bulvarı Haseyad 1. Kısım No: 60 / 3C
Başakşehir - İstanbul / TURKEY
Tel: +90 212 671 07 00 Faks: +90 212 671 07 48

الإشتراك

لكي تصلكم المجلة بشكل دوري

يمكنكم الإشتراك سنوياً بمبلغ ٣٠ دولار

كما يمكنكم المساهمة بإرسال المقالات

والملاحظات على عناوين المجلة

للمراسلة

www.islamicpublishing.org

almizab2011@hotmail.com

almizab2011@gmail.com

١٨



لا تركنوا إلى الظالمين ولو قليلاً
الدكتور: عمر شليك

٣



ضرورة الاتحاد أمام شبكة الإفساد
د. آدم أرغول

٣٦



متى نبكي؟
الأستاذ: هاشم آقین

٢٨



التقوى
الأستاذ: عثمان نوري طوباش

٢٧	كيف تُطفأ نار الحسد؟	١	كلمة التحرير
٢٨	التقوى	٣	ضرورة الاتحاد أمام شبكة الإفساد
٣٤	السلامة في الصلوات	٥	حَمَلَةُ الصحابة لتعلم القرآن وتعليمه
٣٦	متى نبكي؟	٨	دواء سرطان العنصرية: الإسلام
٣٨	حق الأمل	١٠	الأشياء التي تجعل قيمة للإنسان والمجتمع
٤٠	فساد العقائد يقود إلى جهنم	١٢	روح الإيمان ينعكس على السلوك
٤٢	إذا أكل الجد خوفاً حامضاً...	١٤	أهمية اهتمام المسلم بالأسحار والعبادات
٤٤	المستقع الرقمي	١٨	لا تركنوا إلى الظالمين ولو قليلاً
٤٧	المصائد النفسية الحديثة	٢٠	لو تبكون ولو تفهمون
٥٠	أثر الاجتهاد الجماعي في تحقيق وحدة الأمة	٢٢	حق السيف وعمارة المدن في الإسلام
٥٠	الإسلامية	٢٥	أوراق التقويم
٥٦	حقوق العائلة	٢٦	الإصلاح بين المؤمنين

ملاحظة: المقالات المنشورة في هذه المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة



د. آدم أرغول

ضرورة الاتحاد أمام شبكة الإفساد

على الأقل. وليس المهم كثرة العدد، بل تحرك الأفراد بتعاون وتكاتف، فنصر الله لا يتعلق بكثرة العدد. وإلى هذه الحقيقة يشير قوله الله تعالى:

﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة، ٢ / ٢٤٩] ، وغيرها من الآيات الكريمة، التي تبين أن من أهم الوسائل للنصر على حلف الشر هي تحرك الأقلية بصبر وتعاون كبير بينهم، وبأن الأقلية ستهزم الطرف الآخر الذي يكون عددهم ضعف عدد الأقلية على الأقل، أو عشر أضعاف في مواضع أخرى. [انظر: الأنفال، ٨ / ٥٦-٦٦].

وقد طرح المفكر الإسلامي محمد عاكف أرصوي أمام هذه التحذيرات والبشائر الربانية سؤالاً عظيماً إذ قال: "أيجلس العلماء ينتظرون الوحي الإلهي؟" ولا شك أن إلقاء المسؤولية على طرف أمر سهل. فلا شك بأن للعلماء والعارفين وأولي الأمر وكل من يحمل ذرة إيمان في قلبه شيء يمكن أن يسهم به من أجل رفع الفساد. ولكل واحد مسؤولية على قدر طاقته واستعداداته.

إن حلف الشر حلف هدام يتكوّن من الشيطان وأعوانه. ولهذا الحلف قائد وجيوش مؤلفة من الإنس والجن. ونفس الإنسان قادرة على التعاون مع هذا الحلف. وهذه النفس هي النفس الأمارة التي "تأمر بالسوء دائماً"، فإذا لم تحم على أسس الإيمان والإسلام والإحسان، ولم تنل رحمة الله وفيوضاته وبركاته، ستكون عضواً في شبكة الشر هذه. وأهل الشر أكثر عدداً من أهل الحق من هذا الجانب، ويبيّن هذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام، ٦ / ١١٦]

وهذه الحقيقة الربانية تحذر أهل الحق، بأنهم إن لم يتحدوا ولم يجتمعوا في الخير والمعروف والتقوى، ولم يقفوا في وجه جبهة الشر، فإنهم سيُغلبون بلا ريب.

ويشير قول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال، ٨ / ٧٣]

إلى ضرورة تحرك المؤمنين معاً وتعاونهم كتعاون المنكرين

ونحن نفهم من قول الله تعالى:

﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران، ١٠٤/٣] أنه لن ينتهي حكم الشر ما لم يجتمع أهل الخير ويتحدوا. فعلى كل فرد يحمل الإيثار في قلبه أن يجادل الشر وحده مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي كان أمة وحده قادراً على التضحية بكل شيء، أو يقف بجانب أهل الحق بوصفه فرداً في المجتمع. وإلا فلن يكون السلام والأمان في المجتمع، ولن يستطيع الفرد أن يحمي حتى نفسه. وإذا كنا نريد أن لا نواجه مثل

هذه النهاية المفجعة، ويكون لنا عذر أمام ربنا يوم القيامة، فعلينا أولاً أن نفكر بما يمكن أن نفعله معاً ونحن في هذه الحال، ونحدد ما سيكون دورنا. وإذا كنا في منصب من المناصب الإدارية في الدولة، فعلينا أن نبحث عن إمكانياتنا ونفعل شيئاً بناءً عليها كي نزيد من الخير في الإطار المحدد لنا ونمنع الشر. وإذا كنا موظفين في الشؤون الدينية أو مسؤولين فيها، فيجب أن يكون الموضوع الأول في جدول أعمالنا في اجتماعاتنا ولقاءتنا

على كل فرد يحمل الإيثار في قلبه أن يجادل الشر وحده مثل سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي كان أمة وحده قادراً على التضحية بكل شيء، أو يقف بجانب أهل الحق بوصفه فرداً في المجتمع. وإلا فلن يكون السلام والأمان في المجتمع، ولن يستطيع الفرد أن يحمي حتى نفسه.

كيف نضع خطة تنفيذ في إطار المؤسسة التي نعمل فيها من أجل أن نوصي بالحق ونمنع الباطل. فكل موظف يعمل في مؤسسة من مؤسسات الدولة مثل مدرسة أو جامعة أو مركز ثقافي أو غيرها من المؤسسات يجب أن يحمل مثل هذا الهم ويستعد للحساب أمام خالقه يوم الحساب.

وإذا كنا في إطار وقف أو جمعية خيرية، فيجب أن يكون من موضوعاتنا الثابتة في جدول أعمالنا زيادة الخير ومنع الشر على قدر طاقتنا ومجال عملنا. ولا شك أن الموضوعات الأخرى مهمة، ولكن مسؤوليتنا التي

تنطلق من كوننا آخر الأمم تفرض على كل واحد منا نحن المؤمنين أن نحمل مسؤولية مثل مسؤولية الأنبياء عن أممهم. ويمكننا أن نقيس أحوالنا من واجب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" الذي يعد الدليل الوحيد على أننا مجتمع خير.

وعلى الأفراد الذين لا يكونون في مؤسسات مثل الأوقاف والجمعيات والمساجد وغيرها أن يجدوا الطرق ليشاركوا في عمل هذه المؤسسات من غير أن يضيعوا وقتاً، أو يؤسسوا مثل هذه المؤسسات حتى لا يتعرضوا لفساد أهل الفساد. ومن لم يجد فرصة لذلك، فعليه أن يعتصم

بالمساجد، فالمساجد ليست مكاناً تؤدّى فيها الصلوات فحسب، بل هي في الوقت نفسه مركز له دور أساسي في عمران الحي أو القرية أو المدينة عمرانياً معنوياً، وله تأثير عظيم في الإصلاح ومنع الفساد. فإذا اجتمع الإمام التقي الوارث لمحراب النبي والذي لديه شعور بالمسؤولية مع جماعة المصلين الذين قلوبهم حيّة، فعندئذ نكون أمة يعمل فيها الحق ويسود الخير. ولربما مسؤوليتنا الأولى بوصفنا أمة أن نجعل مثل هذه الأنشطة في المساجد.

واتحاد الأسرة إذا كان على أساس الطمأنينة والألفة والمودة فيكون وسيلة للخير لأفراد الأسرة وللآخرين ووسيلة لمنع الشر. فعلينا أن نضيف لمؤسسة الأسرة مهمة الإصلاح أمام هجمات الشر ولا نكتفي بحمايتها وحفظها فقط.

واستمرار أنواع الاتحاد هذه في مواجهة شبكة الشر يكون بالتواصي الدائم على الحق والصبر. ذلك أن أعظم زاد في طريق المجادلة والمجاهدة إنما هو الصبر، وقد وعد الله الصابرين والثابتين بالنصر، ومن المحال أن يغلب مجتمع يعينه الله ويرعاه.



خُطَّةُ الصَّحَابَةِ

لِتَعْلَمَ الْقُرْآنُ وَتُعَلِّمَهُ

----- الدكتور: مراد كايا -----

فسأله أعرابي قائلاً: «يا نبي الله كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف وقد تعلمنا ما فيها، وعلمناها نساءنا وذرائنا وخدمنا...» (أحمد، ٥، ٢٦٦؛ الهيثمي، ١، ٢٠٠).

انظر: الترمذي، العلم، ٥ / ٢٦٥٣

وهذا القسم من هذه الرواية يبين لنا مستوى أصحاب النبي في حرصهم على كتابة القرآن وتعلمه وتعليمه. وقد كان الصحابي يدخل بيته فتباشره زوجته بهذين السؤالين، كم آية من القرآن الكريم نزلت اليوم؟ وكم حفظت من أحاديث النبي ﷺ؟

وفيد عبادة بن الصامت المعين معلماً لأصحاب الصفة أنه كان يعلم الناس القرآن الكريم والكتابة، فكان وغيره من الصحابة يستضيفون الناس القادمون من خارج المدينة في بيوتهم، ويكرمونهم ويعلمونهم القرآن الكريم.

وكان أبي بن كعب رضي الله عنه يعلم الوفود القادمة إلى المدينة القرآن والفقه.

لقد بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه في دعوة بني الحارث إلى الإسلام، فكان في رسالة خالد إلى النبي ﷺ: أنه دعا قبيلة بني الحارث إلى الإسلام ويقول بعدما أعلم أنهم دخلوا الإسلام من دون حرب:

لقد أولى المسلمون تعليم القرآن الكريم أهمية كبيرة على مدى التاريخ، لحث الله تعالى ورسوله على قراءة القرآن الكريم وفهمه واجتماعهم لذلك.

لقد كان النبي ﷺ يهتم بالمتقين للقرآن الكريم في كل مكان، كما كان لهم الأولوية على الدوام، حيث كان يفضل من هو أعلم بالقرآن على غيره حين توليته الوظائف الإدارية العامة كالإمامة أو الولاية أو القيادة كما أنه عندما سئل أيُّ الشهداء له الأولوية في الدفن دون غيره قدم الأعلم بالقرآن.

وكان رسول الله ﷺ قد دفع راية بني مالك بن النجار إلى عمارة بن حزم، فأدرك رسول الله ﷺ زيد بن ثابت فأعطاه الراية. قال عمارة: يا رسول الله، لعلك وجدت علي! قال:

"لا والله، ولكن قدموا القرآن، وكان أكثر أخذاً للقرآن منك، والقرآن يقدم..."

وهو كذلك أمر بحمل راية قبيلتي الأوس والخزرج من الأكثر علماً في القرآن. (الواقدي، ٣، ١٠٠٣)

يقول الرسول ﷺ في حجة الوداع:

"يا أيها الناس! خذوا من العلم قبل أن يُقبَضَ العلمُ وقبل أن يرفع العلم..."



وسنة نبينا ﷺ، فأعجبت النبي عليه الصلاة والسلام وفرح بها، ثم أقبل علينا رجلاً رجلاً يعرضنا على ما تعلمنا، وعلمنا فمننا من علم التحيات وأم الكتاب، والسورة والسورتين، والسنن» (أحمد، ج ٣، ٤٣٢؛ ج ٤، ٢٠٦، ١٧٨٣١) وكما اتضح فقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يولي الوفود التي تزوره اهتماماً شديداً، ويطلب منهم عند عودتهم إلى بلدانهم أن يعلموا ما تعلموه أهالي قبيلتهم، وهذا الاهتمام لم يكن مقتصرًا على الوفود بل تعداه إلى القادمين. (النسائي، الأذان، ٨؛ أبو داود، رمضان، ٩) لما أسلم عمير بن وهب بعد مجيئه المدينة، قال النبي عليه الصلاة والسلام:

"فقهوا أخاكم في دينه. وأقرئوه القرآن!.." (ابن هشام،

٣٠٦-٣٠٩؛ الواقدي، ١، ١٢٥-١٢٨؛ الهيثمي، ٨، ٢٨٤-٢٨٦)

لقد كان أصحاب الصفة الذين يقضون أوقاتهم في المسجد على الدوام يتعلمون من جانب وينشؤون طلبه ومعلمين بعملهم الدؤوب من جانب آخر.

ثم إن النبي عليه الصلاة والسلام وخلفاؤه من بعده كانوا يبعثون بالكثير من الصحابة معلمين إلى مختلف أنحاء العالم، يعلمون الناس القرآن والسنة.. فمثلاً لما أرسل مصعب بن عمير إلى المدينة معلماً أخذ يعلم الناس الإسلام ويقرأ القرآن الكريم كلما سنحت له الفرصة. (البخاري، مناقب الأنصار، ٤٦). وأما أبو الدرداء المرسل إلى دمشق (الشام) فقد عاش لوقت طويل هناك وأسس حلقة علم مشهورة جداً، وقد تجاوز عدد طلبته الذين تحت إشرافه ١٦٠٠، فقسّم طلبته إلى عشر مجموعات وعيّن لكل مجموعة شيخاً من الذين قام بتنشئتهم وتابع تقدمهم بالترتيب. والمجتازون لهذا المستوى الأساسي، يصير بإمكانه أخذ الدرس منه مباشرة، وبهذا فإن طلبته المتقدمون كانوا يتلقون

«...وأنا مقيم بين أظهرهم أمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب إليّ رسول الله. والسلام عليك يا رسول الله» (محمد حميد الله، الوثائق السياسية، بيروت ١٤٠٧، ص ١٦٥-١٦٦)

كان دأب النبي ﷺ إبقاء رؤساء الوفود القادمة إلى النبي ﷺ للدخول في الإسلام في المدينة المنورة مدة تسمح لهم بتعلم القرآن الكريم وأركان الدين وفهم الإسلام من خلال رؤيتهم بأنفسهم ذلك على أرض الواقع. فعلى سبيل المثال:

حدثنا شهاب بن عباد، أنه سمع بعض وفد عبد القيس وهم يقولون: قدما على رسول الله ﷺ فاشتد فرحهم بنا، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا، فقعدنا فرحب بنا النبي ﷺ، ودعا لنا،... ثم أقبل على الأنصار فقال: "يا معشر الأنصار، أكرموا إخوانكم، فإنهم أشباهكم في الإسلام أشبه شيء بكم أشعاراً، وأبشاراً أسلموا طائعين غير مكرهين، ولا موتورين إذ أبى قوم أن يسلموا حتى قتلوا"

قال: فلما أن أصبحوا قال:

"كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم، وضيافتهم إياكم؟"

قالوا:

«خير إخوان أَلانوا فراشنا، وأطابوا مطعمنا، وباتوا، وأصبحوا يعلمونا كتاب ربنا تبارك وتعالى،

أعلم مني بكتاب الله، تبلغه الإبل لركبت إليه»
(البخاري، فضائل القرآن، ٨/ ٥٠٠٢)

وثمة مسألة مهمة ألا وهي أن الصحابة رضي الله عنهم أولوا القرآن الكريم عند تعليمه تعظيماً كبيراً، وعن عبد الله بن مسعود أنه كان يُقَرَأُ الرَّجُلُ الآية، ثم يقول: «لَهِ خَيْرٌ مِّمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، أَوْ مِمَّا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ» حَتَّى يَقُولَ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ. (الهيتمي، ١٦٦، ٧)

❖ إن العناية التي أولاهها المسلمون فيما يتعلق بتعلم القرآن الكريم وحفظه أولوا ما يماثلها لاحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهنا نسرد بعضاً من الأمثلة التي تؤيد ذلك: فهذا أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه يرحل من المدينة إلى مصر ليسأل عقبة بن عامر عن حديث سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فلما قدم قال له: حَدَّثْنَا مَا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سِتْرِ الْمُسْلِمِ، لَمْ يَبْقَ أَحَدٌ سَمِعَهُ غَيْرِي وَغَيْرِكَ، فَلَمَّا حَدَّثَهُ رَكِبَ أَبُو أَيُوبَ رَاحِلَتَهُ وَانْصَرَفَ عَائِداً إِلَى الْمَدِينَةِ، وَمَا حَلَّ رَحْلَهُ. (الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص: ٧ - ٨)

وهذا جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه بلغه حديث عن صحابي بالشام سمعه من رسول الله ﷺ فاستعظم أن يفوته شيء من حديث رسول الله ﷺ فاشترى بعيراً وشد عليه رحله، وسافر مسيرة شهر حتى قدم الشام، فإذا هو عبد الله بن أنيس. فمرة من المدينة إلى الشام وأخرى إلى مصر. (انظروا: البخاري، العلم، ١٩)

ويقول سعيد بن المسيب رحمه الله: (كنت أرحل الأيام والليالي في طلب الحديث الواحد) (ابن كثير، البداية، ٩، ١١٨)

وأما عمر بن عبد العزيز فكتب إلى أبي بكر بن حزم عامله على المدينة:

«انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فَاكْتَبَهُ، فَإِنِّي خِفْتُ دُرُوسَ الْعِلْمِ وَذَهَابَ الْعُلَمَاءِ، وَلَا تَقْبَلْ إِلَّا حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ، وَلْتَنْفَسُوا الْعِلْمَ، وَلْتَجْلِسُوا حَتَّى يُعَلِّمَ مَنْ لَا يَعْلَمُ، فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَهْلِكُ حَتَّى يَكُونَ سَرًّا» (البخاري، العلم، ٣٤)

العلم عن أبي الدرداء إضافة إلى تعليمهم من دونهم في المستوى من الطلبة. (الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢، ٣٤٤ - ٣٤٦). وهذه الطريقة اتبعها كثير من الصحابة في بقاء مختلفة.

ثم إن عمر رضي الله عنه بعث يزيد بن عبد الله إلى الأعراب القاطنين بعيداً عن المدينة، وعين أبا سفيان مشرفاً على القبائل البدوية بإرساله إليها ليثبت مستوى تعلمهم. وهو وُظِفَ ثلاثاً من الصحابة في المدينة وحدها لتعليم الأولاد القرآن الكريم حيث عين لهم كل شهر ١٥ درهماً لقاء ذلك. وأمرهم بتعليم الجميع حتى الراشدين خمس آيات على الأقل من الآيات السهلة.

وَعَنْ كُلَيْبِ بْنِ شَهَابٍ قَالَ: «كَانَ عَلِيٌّ فِي الْمَسْجِدِ -أَحْسَبُهُ قَالَ: مَسْجِدَ الْكُوفَةِ- فَسَمِعَ ضَجَّةً شَدِيدَةً، فَقَالَ: «مَا هَؤُلَاءِ؟» فَقَالَ: «قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، أَوْ يَتَعَلَّمُونَ الْقُرْآنَ»، فَقَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ كَانُوا أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» (الهيتمي، ١٦٢، ٧)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: «أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا جَلَسُوا كَانَ حَدِيثُهُمْ -يَعْنِي الْفَقْهَ- إِلَّا أَنْ يَقْرَأَ رَجُلٌ سُورَةً أَوْ يَأْمُرَ رَجُلًا بِقِرَاءَةِ سُورَةٍ» (الحاكم، ١٧٢، ١ / ٣٢٢)

ويقول أبو نضرة عن التابعين:

«كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا اجْتَمَعُوا تَذَاكُرُوا الْعِلْمَ (الْأَحَادِيثَ) وَقَرَأُوا سُورَةً» (الخطيب البغدادي، الفقيه والمفتي، بيروت، ١٣٩٥، ٢، ١٢٦)

عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ:

«كَانَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى بَيْتٌ فِيهِ مَصَاحِفٌ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِيهِ الْقُرَّاءُ قَلَمًا تَفَرَّقُوا إِلَّا عَنْ طَعَامٍ» (ابن سعد، ٦، ١١٠؛ ابن أبي داود، المصاحف، ص ١٥١)

وكلام ابن مسعود رضي الله عنه التالي تملؤه العبرة:

«والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم أنزلت، ولو أعلم أحدا



دواء سرطان العنصرية: الإسلام

وأعجمي إلا بالتقوى. وبني دين الإسلام العلاقات بين الناس على أساس العدل لا العرق، وعلى أساس حرية الدين.

عاش الناس في طمأنينة وسلام في حكم الإسلام، فالإسلام يرى الناس أبيضهم وأسودهم ويهودهم ونصرانيهم سواسية في الإنسانية، وحمي معتقداتهم وأفكارهم. وحكم المسلمون البلاد الإسلامية بالعدل ونشروا فيها الأمن والأمان، وظل النصارى واليهود على دينهم، وحُفِظَت دور عباداتهم. والعجيب أن مفاتيح كنيسة القيامة التي تُعدُّ أقدس الكنائس أعطاهها النصارى للمسلمين، فقد اختلفت مذاهب النصارى على هذه المفاتيح، ووجدوا الحل في عدل المسلمين.

وأعان العثمانيون المظلومين في كل أنحاء الأرض من غير أن يسألوا عن دينهم ومذهبهم، فقد استقبلوا يهود الأندلس بعدما تعرضوا للظلم فيها مع المسلمين، وسكنوا في أفضل مناطق الدولة العثمانية. وعاش اليهود الذين ظلموا في الأندلس وأوروبا وأخيرًا

إن جذر أعراق الناس سيدنا آدم وحواء، لذلك لن نجد عرقًا مختلفًا تمامًا عن غيره. والقومية والعرق حقيقتان، ولكن الفلسفة التي تتدعي علو عرق على عرق آخر فلسفة باطلة تؤدي إلى الخسران. وأصل العنصرية الشيطان، فقد ادعى إبليس أن عرق الجن أعلى من عرق الإنسان. ورأى أن أصل الجن النار وأصل آدم تراب، وأن جذريهما مختلف.

وقد حرّم الله تعالى ظلم الناس بعضهم بعضًا في جميع الأديان. وكان الدين الأخير دين الإسلام الدواء لظلم العنصرية الذي ظهر في صفحات التاريخ من حين لآخر، فجعل الناس إخوة، أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم.

وجاء رسول الله ﷺ ليزيل العصبية من المجتمع الجاهلي، وأعلن للناس جميعًا بأنه لا فرق بين عربي



في ألمانيا أفضل أيام حياتهم بين المسلمين. ولكن اليهود الصهاينة نسوا التاريخ، وغدروا بالمسلمين الذين استضافوهم.

وصارت التوراة المحرّفة أساس العنصرية اليهودية التي تدعي أن الإنسان لا يستطيع اعتناق اليهودية، بل يُؤلّد يهوديًا. وقد كدّبهم الله تعالى في كتابه العزيز إذ قال:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة، ١٨]

وقد أصلح دين الإسلام الذي أنزله

الله تعالى تحريفات النصرانية واليهودية، وبين الله تعالى وجود أعراق مختلفة بين الناس وسرّ العلاقة بينهم إذ قال:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات، ١٣]

إن المجتمع الذي لم تُر فيه عنصرية قط هو مجتمع الطرق الصوفية. فالصوفية يرون أن الإنسان مخلوق مكرم، ويحمل نفحة من الحق تعالى، ومن أجل هذا السبب وحده يحترمون الإنسان مهما كان. وفي سلسلة الطرق يوجد مشايخ من أعراق مختلفة وفقًا للمناطق التي عاشوا فيها، ففي سلسلة الطريقة النقشبندية مثلاً هناك مشايخ من العرب والفرس والأوزبك والهنود والكرد والترك. فأمثالهم أرشدوا الناس لتقواهم وما عندهم من علم وحكمة لا لأعراقهم ونسبهم. والعجيب أن نجد في هذه الطرق شيخاً عربياً وأكثر مريديه من الفرس أو الهنود، أو نجد شيخاً هندياً وأكثر مريديه من الترك أو الكرد. وبذلك جمعت الطرق بين أخوة الإسلام والأخوة المعنوية، واجتمعت مجموعات عرقية مختلفة في بوتقة واحدة، فذكروا الله معاً في حلقة واحدة، وصلوا في صف واحد، وتعاونوا في السراء والضراء.

كان الإمام الرباني أحمد السرهندي المعروف بشدة عدائه للدين ورؤوس الكفر يولي أهمية كبيرة للإنسان وشرفه. وكان يوصي بحسن معاملة الناس مهما كانت عقيدتهم وتجنب كسر قلوبهم. إذ ينبغي ألا تُهدم كعبة القلب لأن هذا القلب جعله الله تعالى أقرب الأعضاء إليه:

"واعلم أن القلب جار الله سبحانه، ولا شيء أقرب من القلب إلى ذاته المقدسة. فإياك أن تكسر قلباً أو تؤذيه، سواء أكان مؤمناً أم كافراً، فالجار يُحمى وإن كان عاصياً. فاحذر الحذر! وليس ذنب أعظم عند الله تعالى من كسر القلب وإيذاؤه بعد الكفر. وليس مخلوق يصل إلى الله تعالى بين المخلوقات إلا القلب". [مكتوبات الرباني، المکتوب رقم ٤٥]



ويرى الصوفية العنصرية ذنباً عظيماً، وذكر الصوفي يونس أمره أن الذي لا يرى الأمم بعين واحدة يكون عاصياً للحق ولو كان مدرّس حلقة.

إن تيار العنصرية القادم من النصرانية واليهودية ليس له أي صلة بالإسلام ولا الإنسانية ولا الوطنية. واليوم نحن نعيش في سلام وأمان، ولكن المسلمين في مناطق أخرى يعانون الويلات. فنحن مسؤولون عن إخواننا المسلمين الذين يتعرضون للظلم في مكان. وعلينا أن نشاركهم ما نملك، ولا ننسى أننا قد نكون في مكانهم، وقد نُضطر للهجرة بسبب حرب أو كارثة طبيعية. وعلينا أن نشكر الله على نعمة أننا بعيدون عن الظلم، والشكر يكون برعاية أبناء المسلمين.

إن الهموم تقل بالمشاركة والنعم تزداد بالمشاركة، فعلياً أن نتبع ما أمرنا به الله ورسوله ونترك الشيطان وأعوانه. ونسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ شبابنا من العنصرية وغيرها من أفكار الجاهلية، آمين.

وفي الختام نترحم على إخواننا المظلومين في غزة، ونسأل الله تعالى أن يرفع الظلم عنهم ويجعل هذه المصيبة سبباً لوحدة الأمة.



قال رسول الله ﷺ: "ألا وأنا حبيب الله ولا فخر".

[الترمذي، المناقب، ١/٣٦١؛ الدارمي، مقدمة، ٨]

الأشياء التي تجعل قيمة للإنسان والمجتمع

قال رسول الله ﷺ:

"يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى". [أحمد، مسند، ٥، ٤١١]

"يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى". [أحمد، مسند، ٥، ٤١١]

لقد ذكّر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام الناس بحقيقة أنهم إخوة في الخلق من خلال تطبيقه بنفسه ما أمر به في عصر جاهلي تستند فيه أنماط الحياة على العرق والدم والنسب والجاه.

مر رسول الله عليه الصلاة والسلام ذات يوم ببعض الأسواق بالمدينة، وإذا غلام أسود قائم ينادي عليه بياع فيمن يزيد، وكان الغلام يقول: من اشتراني فعلى شرط، قيل: ما هو؟ قال: لا يمنعني من الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ، فاشتراه رجل على هذا الشرط، وكان يراه رسول الله ﷺ عند كل صلاة مكتوبة، ففقده ذات يوم فقال لصاحبه: "أين الغلام؟" فقال: محموم يا رسول الله، فقال لأصحابه: "قوموا بنا نعوذه"، فقاموا معه فعادوه، فلما كان بعد أيام قال لصاحبه: "ما حال

قد يختلف الناس بناءً على أصولهم وجغرافيتهم والأدوار التي لعبوها في التاريخ والألوان واللغات التي يحملونها منذ الخلق. هذه الاختلافات ليست ميزة فردية أو سبب للتفاخر، فما يجعل للإنسان قيمة هو أن يكون متحلياً بها هو قيم عند الله تعالى.

إن الفترة الزمنية التي سبقت قدوم سيد الأنعام يُعرّف بالجاهلية. والجاهلية ليست نمط حياة مقتصرًا على جغرافية جزيرة العرب فقط، بل كانت المناطق المجاورة لهذه الجغرافيا والتي كانت تُعد في ذلك الوقت دولاً كبيرة مثل بيزنطة وفارس ومصر والحبشة تعيش في اضطراب مختلف بعيد عن الحق والحقيقة.

فأرسل الله تعالى مالك الكون خاتم رسله برسالة تحاطب البشرية بأسرها، وأمرهم أن يلتقوا جميعاً على هذه الحقيقة الإلهية. وقد دعا رسول الله عليه الصلاة والسلام في حجة الوداع الناس لعبادة رب واحد وأن يكون على التقوى إذ قال:

الغلام؟" فقال: يا رسول الله إن الغلام لما به، فقام ودخل عليه وهو في برحائه فقبض على تلك الحال، فتولى رسول الله ﷺ غسله وتكفينه ودفنه، فدخل على أصحابه من ذلك أمر عظيم، فقال المهاجرون: هجرنا ديارنا وأموالنا وأهلينا فلم ير أحد منا في حياته ومرضه وموته ما لقي هذا الغلام. وقالت الأنصار: آويناه ونصرناه وواسيناه بأموالنا فأثر علينا عبدًا حبشيًا. فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ يَعْنِي أَنْكُمْ بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ وَامْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ.

وأراهم فضل التقوى بقوله تعالى:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾. [الواحي، أسباب نزول

القرآن، ص ٤١١-٤١٢]

وقد حذر رسول الله ﷺ من يتفاخر بنسبه في قوله:

"إن الله ﷻ قد أذهب

عنكم عبيّة الجاهلية، وفخرها

بالآباء مؤمن تقي، وفاجر شقي، أنتم بنو آدم وآدم من تراب، ليدعن رجال فخرهم بأقوام، إنما هم فحم من فحم جهنم، أو

ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها التّن". [أبو داود، الأدب، ١١٩]

عن المعروف بن سويد، قال: لقيت أبا ذر بالريذة، وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلًا فعيّرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ:

"يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم".

[البخاري، الإيثار، ٢٢]

عندما انتهى رسول الله ﷺ من الوقوف في عرفات خلال حجة الوداع، كان يستعد للعودة إلى مزدلفة. وفي تلك اللحظة تأخر قليلًا لأن أسامة بن زيد ذهب لقضاء حاجة. ولمّا عاد أسامة، رأى الناس الذين كانوا ينتظرونه فتى أسود البشرة، مسطح الأنف، فقام بعض من أهل اليمن وقالوا: "أمن أجل هذا مكثنا!" واستحقروه.

كان أسامة بن زيد أسود، ووالده كان عبدًا أُعتق. وكان الناس في الجاهلية لا ينظرون إلى العبيد نظرة إنسانية ولا إلى أولادهم. ولكن رسول الله ﷺ كان يحب أسامة كثيرًا، وكان يردفه على دابته. ويروى أنه في الفتوحات، كما في فتح مكة، أردف النبي ﷺ أسامة على ناقته، لأنه كان فتى ذكيًا، سديد الخلق، متواضعًا، تقيًا، محبًا للناس، ومحبوبًا، وكان يقول الحق ولا يخاف. وقد عين رسول الله ﷺ أسامة بن زيد قائدًا لجيش يرسله إلى الشام. وكان في طاعته كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر. أقام أسامة مقر قيادته في منطقة جرف خارج المدينة. وفي تلك الأثناء تدهورت حال رسول الله ﷺ بسبب مرضه. وبدأ بعض الناس

يطعنون في إمرته، لأنه صغير وغير مخضرم في الجيش وفيه صحابة كبار مثل أبي بكر وعمر. فقام رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال:

"إن تطعنوا في إمرته، فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل، وإيم الله إن كان خليفًا للإمرة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده".

[مسلم، فضائل الصحابة، ٦٣]

إن ما يجعل الإنسان ذا قيمة عند الله والخلق هو خلقه.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبارك وسلم.



قال الله ﷻ:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} [الحجرات: ١٣]



ينعكس على السلوك

الإنسان وحشاً على هيئة إنسان، فما توانى في ارتكاب أفعط المظالم والشرور.

إن الدين بناء متكامل، فلا يجوز أخذ جزء منه وترك جزء. والعبادات في الدين تشكّل هذا البناء المتكامل المتداخل الذي ينظم العلاقات بين الأفراد. وبذلك يظهر نظام حياة مناسب لعيش البشر وإعمار الأرض. وهذه الحقيقة تعبّر عنها سورة الماعون بصورة واضحة. ما الماعون؟ هو المعروف الذي لا تفقد شيئاً إذا أعطيته... هو ماء تسيقه لأحد، هو شعلة تعطيه لغيرك. فالذين لا يؤمنون بالله ويتكبرون على الناس لا يعطون غيرهم حتى هذا المعروف الصغير لأنهم يرون المعروف حماقة. ولا يدركون ما معنى المعروف لأنهم لا يؤمنون بالآخرة. لذلك لا يعطون غيرهم حتى ما يزيد على حاجتهم، فيرمونه في القمامة، أو في البحر أو يحرقونه... ولكنهم لا يعطونه كي يكون معروفاً، لأن الصدقة أو المعروف برهان، ودليل على إيمان صاحبه بالآخرة.



يمكن أن نفهم إذا كان الإنسان ذا إيمان من سلوكه. يقول المثل العربي: "كلُّ إناء بما فيه ينضح". فمن كان باطنه حسناً كان ظاهره جميلاً. ومن كان ظاهره جميلاً، كان باطنه حسناً. ومن هذا المنطلق تلخص سورة الماعون صفات شخصية غير المؤمنين:

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ. فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ. وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ. فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

فتعرض سورة الماعون بآياتها السبعة لنا طريقة عيش كاملة تجعلنا قادرين على تنظيم المصطلحات المتعلقة بالدين والتدين. وليس التدين أداء مجموعة من الطقوس الدينية التي نعتاد عليها. فالإيمان إذا استقر في قلب، انعكس على شخصية الإنسان وأعضائه وعلاقاته مع الآخرين. وأما إذا كان النقيض من ذلك أي ذهب الإيمان بالله من قلب الإنسان، انقلب ذلك



إن التعاون والتكاتف في المجتمع المسلم يزيد من المحبة والصلة بين أفرادهِ. والمعروف الصغير للمحتاجين يضمن وحدة المجتمع، فإذا كان

منعٌ لهذا المعروف فالمجتمع ينهار، ولا يكون فيه روح المحبة، وهذا يعني أن الأنانية حاکمة فيه، فأفرادهُ أنانيون.



وفي نهاية السورة يذكر الله تعالى قبح المنافقين وخساستهم، فهم لا يعطون حتى الأشياء التي لا يريدونها. فطبائعهم لا تناسب العطاء، بل طبائع قائمة على السوء. ولا يؤدون معروفًا حتى بغير قصد، ولا يدعو أحد لهم بالخير. فما أشدها من سوء عاقبة!

والسورة في بدايتها ونهايتها تذكر بالإنفاق في سبيل الله، لأن المؤمن الحقيقي يؤمن بالله تعالى، ويذل كل ما لديه من أجل الله تعالى. والقسطاس في هذه السورة المباركة هو أن صاحب المال إذا كان ينفق ماله في سبيل الله فهو على حق، وأما إذا كان يمتنع ويبخل ولا ينفق في سبيل الله فهو هالك.

إن التعاون والتكاتف في المجتمع المسلم يزيد من المحبة والصلة بين أفرادهِ. والمعروف الصغير للمحتاجين يضمن وحدة المجتمع، فإذا كان منعٌ لهذا المعروف فالمجتمع ينهار، ولا يكون فيه روح المحبة، وهذا يعني أن الأنانية حاکمة فيه، فأفرادهُ أنانيون، ثم تحل مشاعر الحقد والكراهة والعداوة بين أفراد ذلك المجتمع مع مرور الوقت. والنهاية الطبيعية لذلك الفرقة وانهيار المجتمع. وهذا يفتح الطريق لانهيار الإنسانية وعموم الفوضى.

إن آيات سورة الماعون تحمل معان عميقة وإن كانت قصيرة، وتقدم نموذجًا فريدًا للتعليم لكل زمان ومكان. وتكشف عن خفايا مصطلح الإيمان والكفر، وتوضح الخير والرحمة التي يحملها دين الإسلام للناس أجمعين. فالعبد إذا أراد أن يكون مؤمنًا، فعليه أن يعمل من أجل نفع العالمين، والسلام...

فهذه الحال لا يقبلها عاقل، أن يردَّ عمل معروف لا يضره شيئًا. من أجل ذلك بدأت السورة باستفهام: أرايت؟ أرايت الذي يكذب بالدين؟ لا بد أنه يرفض حقيقة مطلقة! لا يريد أن يقبل الحساب والعقاب، ويظن أنه سيفوز بما صنع. ولذلك لا يريد تحمل مسؤولية ذنبه الذي ارتكبه. ولذلك لا يكون إيمان بالآخرة لمن لا يؤمن بالقيم الأخلاقية. لأن من يعتقد بوجود يوم حساب يُحاسب فيه على كل عمله لا يظلم أحدًا. وقد قال النبي ﷺ:

"والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن" قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه". [البخاري، الأدب، ٢٩]

وقد بيّنت السورة الكريمة بأسلوب أدبي بليغ العلاقة بين تكذيب الدين وأن يكون الإنسان فردًا مؤدّيًا في المجتمع: أرايت الذي يكذب بالدين؟ فذلك الذي يدع اليتيم.

وهذا الذي يكذب بالدين لا يحضُّ على طعام المسكين والفقر، فهو في قمة البخل، فهو لا يعطي ولا يحث غيره على العطاء. مع أن المسكين لا يريد إلا أن يشبع بطنه، ولا يريد مالًا كي يخبئه. والشبعان لا يستطيع أن يأكل وإن أكره. فلا بخل أشد من عدم إشباع بطن محتاج إلى طعام.

والسورة تتحدث في نصفها الأول عن الكافرين، وفي نصفها الآخر عن المنافقين. فالصلاة التي يصلّيها المنافق ظاهرًا ويدّعي الإيمان تكشف عن قبح باطنه، وتبين نفاقهم. وهذه الصلاة التي تبدو صلاة في الظاهر تكون وبالاً عليهم. فويل للمصلين... فلو أن صلاتهم كانت صلاة حقيقية، لما كانت حالهم هكذا، لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. فمن أسود باطنه بالسوء يصلّي صلاته دفعًا للبلاء ولا يهتم بها. فيصلّيها بسرعة وهو منشغل بأعماله اليومية. فجسمه يصلّي ولكن قلبه معلق بأمور الدنيا. وكلُّ همه الرياء، ومثل هذه الصلاة ليست عبادة تليق بالعرض على الله تعالى.



﴿الأستاذ: لقمان حلوجي﴾

أهمية اهتمام المسلم بالأسحار والعبادات

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾

[آل عمران، ١٧]



← الأسحار غنيمة

الليل غنيمة عظيمة للمسلمين الذين بلغوا سن الرشد، وذلك لما يحمله من سكينة وفيض.

الليل فرصة للهروب من عذاب الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ

مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال، ٣٣]

وقد أخبرنا الله تعالى عن وقت الاستغفار الذي

ينجينا من عذاب الله تعالى:

﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ

وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران، ١٧]

﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ. وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ

يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات، ١٧-١٨]

إن بقاء العبد مستيقظاً في

الوقت الذي ينام فيه

الجميع يعني أنه من

عباد الله الخواص الذين يدخلون رحمة الله تعالى ومجلس محبته.

والليل فرصة لترك الفراش الدافئ والناعم والتوجه إلى الله تعالى بمحبة لنيل رضاه.

﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة، ١٦]

لا ينبغي إهمال الليل، فأعظم لحظات عبادة الأنبياء كانت في الليل. ولم يترك رسول الله ﷺ صلاة التهجد حتى في أشد غزواته مثل غزوة تبوك. وأراد ألا نُحرَم من فيوضات الليل فأوصانا قائلاً:

"عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وإن قيام الليل قربة إلى الله، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطرودة للداء عن الجسد". [الترمذي، الدعوات، ١٠١]

وقال:

"أشرف امتي حملة القرآن وأصحاب الليل".

[المناوي، فيض القدير، ١، ٥٢٢]



﴿ كيف نزيد من رغبتنا في التهجد؟

كلما زادت شدة حب الله في القلب، زادت الرغبة بصلاة التهجد والتسبيح في الليل.

إذا استطاع المؤمن أن يستثمر الليل ويستفيد من روحانية الذكر، فإن ليله سيكون أكثر إشراقاً من نهاره. ومن يهمل الاستفادة من بركات الليل، فإنه سيخرج صباحاً متعباً وكسولاً، ويحرم من بركة النهار.

فكل من يريد أن يحصل على سلامة الصباح، عليه أن يستثمر ليله ليستطيع الدخول إلى أجواء الروحانيات.

إن حرمان المؤمن من الفيوضات الإلهية والروحانية في الليل، وقضاءه الليل في سبات الجمادات، هو خسارة كبيرة. فلا بد من الاستفادة من بركات الليل، لكي نتمكن من العيش في حياة عبودية بصدق وإخلاص ومحبة ووجد.

فكما أن الجسد يحتاج إلى الغذاء المادي، فإن الروح تحتاج إلى غذاء روحي ليتعرف إلى خالقها ويتمكن من عبادته. قال الله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد، ٢٨]

فإذا كانت حياة الدنيا تمر كالغيمة الصيفية بلا خوف من الآخرة، فإن هذا لا يختلف عن رؤية النهار بلا ليل.

﴿ أسرار الليل

لا يصحو القلب إلا بصحبة الله تعالى، أي إن القلب يغدو محط نظر الله تعالى. وأفضل طريق لذلك هو الذكر الذي يؤدي في الليل.

فقد قال رسول الله ﷺ:

"إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم". [صحيح الجامع، ١٨٦٢]

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبا، ١٠]

وإن الليل لباس للإنسان حقاً، سواء من الناحية الصحية أو الاجتماعية أو الأخلاقية أو الجمالية.

وهو أيضاً لباس السعادة في قانون الزواج، كما أنه ستار لحجب المحارم.

وهو أيضاً ملجأ لمن يريد الاختباء مادياً أو روحياً.

فالليل هو موعد للقاء محبّي الله، ولكنه أيضاً خداع كبير للظالمين والضعفاء أمام أنفسهم. والليل وقت للعبادة والتأمل العميق لمن يقضيه في ذلك.

﴿ إحياء الأسحار استجابة لدعوة الله الخاصة

لا بد أن تؤدي العبادات بقلب رقيق وحساس. ففي الليل، يوجه الله تعالى رسائل خاصة إلى القلوب التي تشعر وتدرك. وفي ذلك الوقت يدعو الله تعالى عباده إلى الاستغفار، ويمنحهم فرصة روحية استثنائية.

فإحياء الأسحار استجابة لدعوة الله الخاصة.

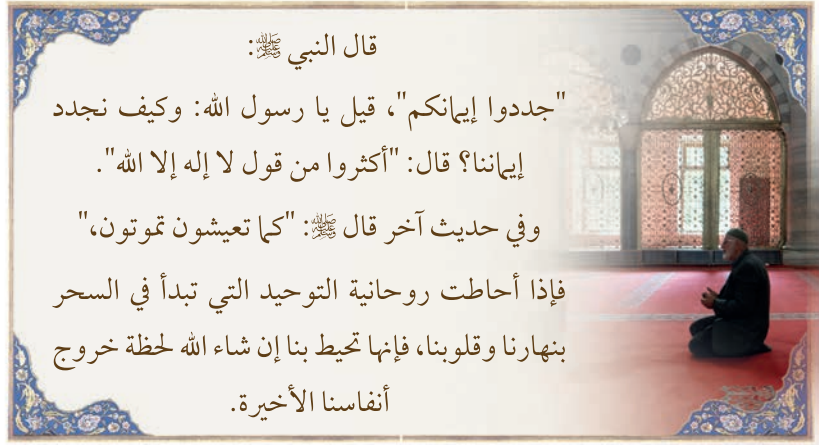
يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول:

"مَن يدعوني فأستجيب له، مَن يسألني فأعطيه، مَن يستغفرني فأغفر له".

فصلاة التهجد والتسبيح كأنها لقاء حميم مع العزيز الرحيم. والاستيقاظ في وقت السحر والدخول في جو الرحمة الإلهية هو دخول في مجلس المحبة ومعرفة الله. وإحياء السحر بالعبادة ممكن وفقاً لقوة حب الله في القلب. ولهذا فهو ليس من حق أي شخص، بل هو حق الأقوياء. فإن السحر وقتٌ لترك السرير الذي يجذبنا مثل المغناطيس، والخروج من النوم الحلو، والتوجه للجلوس أمام حضرة الله تعالى. ولذلك مَن يحب ربه حقاً لا يمكن أن ينام حتى الصباح في غفلة!



وكما أن الليل يعقبه الفجر وتزول
الظلمة، فإن الاستغفار في الليل
هو رحمة من الله تعالى، يزيل
ظلام الذنوب ويفتح لنا أبواب
المغفرة. وعندما يقع الإنسان في
معصية، فإن عليه أن يتوب إلى
الله تعالى ويطلب المغفرة. وقد
أثنى الله سبحانه وتعالى على
عباده المتقين إذ قال:



قال النبي ﷺ:

"جددوا إيمانكم"، قيل يا رسول الله: وكيف نجدد
إيماننا؟ قال: "أكثرُوا من قول لا إله إلا الله".
وفي حديث آخر قال ﷺ: "كما تعيشون تموتون"،
فإذا أحاطت روحانية التوحيد التي تبدأ في السحر
بنهارنا وقلوبنا، فإنها تحيط بنا إن شاء الله لحظة خروج
أنفاسنا الأخيرة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا
اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ لَا يَلِدْ
يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران، ١٣٥]
وقال رسول الله ﷺ:

"إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة
سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد
زيد فيها حتى تعلق قلبه، وهو الران الذي ذكر الله ﴿كَلَّا
بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين، ١٤]"
[الترمذي، تفسير، ٨٣ / ٣٣٣٤]

﴿ الصلاة على النبي في السحر تزيد محبتنا له
لا تقاس قيمة الصلاة على نبينا ﷺ في السحر، فهي
وسيلة لمبحته. يشير الله تعالى في القرآن الكريم إلى
أهمية الصلاة على النبي ﷺ في قوله:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب، ٥٦]

وقد أقسم الله تعالى في كتابه بحياة النبي بكلمة
(لعمرك) وبذلك بين شأنه العظيم بين الأنبياء عليهم
الصلوات والسلام. ونبينا شفاعة ﷺ في يوم القيامة
منوط بمقدار محبتنا له في الدنيا.

علينا أن نعيش مثلما عاش رسول الله ﷺ لنعيش
روحانية ديننا. ولا بد من الحب والمحبة كي نقلده ﷺ،

الاستفادة من الليل يبدأ بالاستغفار

إن الإنسان بطبيعته ميال إلى الأنانية، فيميل
إلى الصفات السيئة مثل الجهل والشهوة والطمع
والكبرياء والغرور والبخل والغضب، ويعمل
بالمعاصي جحودًا بالنعم الإلهية. فإذا استطاع المؤمن
أن يكشف الحجاب عن الغفلة، فإنه يشعر بثقل ذنبه
في ضميره، ويتوب بندم وبكاء.

وحتى لو لم يكن لنا ذنوب، فإن قدرتنا على الشكر
على النعم الإلهية الممنوحة لنا تفوق قدرتنا. لذلك
فإن توبتنا في حالة ضعف هي من مقتضيات العبودية.
والقرآن الكريم مليء بأمثلة على استغفار الأنبياء، لأن
ربنا هو "الرحيم والرحيم"، فهو يدعونا إلى الصلاة
والتضرع إليه في الآية التالية:

﴿قُلْ مَا يَعْجُبُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ
فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان، ٧٧]

ويجب ألا ننسى أن أبواب الرحمة والمغفرة تفتح
في الليل.

التوبة تطهر القلب

التوبة المقبولة تزيل الحواجز بين العبد وربّه،
وتجعل الله تعالى يحبه. قال الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾

[البقرة، ٢٢٢]

فالمحب يقلد دائماً حبيبه. إن القدرة على عيش السنة النبوية تستند إلى مدى حبنا لرسول الله ﷺ.

ولم يجعل الله تعالى أحداً من الناس أسوة حسنة إلا رسوله محمداً ﷺ، فالسعادة في الدارين مكنوزة في هذه "الأسوة الحسنة".

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب، ٢١]

◀ دور الأسحار في إحياء القلب

إن الذكر في السحر، أي أن يكون القلب مع ربه، هو أمر عظيم لإحياء القلب. تحتاج روحنا إلى طعام روحي كما تحتاج أجسادنا إلى الطعام المادي لتبقى حية. ويصل الغذاء المادي إلى أقصى الشعيرات الدموية لتبقى حياة الجسم، فكذا يجب أن يجد الطعام الروحي، الذي هو ذكر الله، مكاناً في جميع الأجزاء الروحية لإحياء المؤمن. يدعو الله عباده إلى "دار السلام". وشرط الاستجابة لهذه الدعوة هو القلب السليم. يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ

سَلِيمٍ﴾ [الشعراء، ٨٨-٨٩]

إن نيل القلب السليم يكون بحرق فيوضات الذكر أدران القلب مثل حرق العدسة القش تحت أشعة الشمس.

كلما ذكرنا ربنا في الدنيا، سنكون قادرين على الوصول إلى مرضاة الله في الحياة الآخرة. لذا علينا أن نعد أنفسنا للذكر في الأسحار، فأصدق الأعمال وأغناها هو الذكر.

◀ الارتباط بين حقيقة ذكر الله وتحقيق سر الخلق

إذا تجلت حقيقة ذكر الله التي يلفظها اللسان في مكانه من القلب، بدأت العبودية لله وتحقيق سر الخلق. وقد علمنا الله تعالى عظمة الذكر وكيف يصل العبد إلى سر "أحسن تقويم" في قوله:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران، ١٩٠-١٩١]

إن السبيل إلى الموت على الإيمان وبلوغ مرضاة الله تعالى إنما هو الذكر الدائم.

يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

"لله أشد فرحاً بتوبة عبده المؤمن من رجل في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنام فاستيقظ وقد ذهب، فطلبها حتى أدركه العطش، ثم قال: أرجع إلى مكاني الذي كنت فيه، فأنام حتى أموت، فوضع رأسه على ساعده ليموت، فاستيقظ وعنده راحلته وعليها زاده وطعامه وشرابه، فالله أشد فرحاً بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده". [مسلم، التوبة، ٣]



لا تركزوا إلى الظالمين ولو قليلا

----- الدكتور: عمر شليك -----

وانطلاقاً من ذلك يقسم العلماء الظلم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول ظلم الإنسان ربّه، وأشد هذا الظلم الكفر والشرك والنفاق، ودليلهم على ذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان، ١٣)

وأما النوع الثاني فهو ظلم الإنسان غيره. فالمقصود من كلمة "الظالمين" في قوله تعالى:

﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ (الشورى، ٤٠) إنما هو الذين يظلمون غيرهم.

وأما النوع الثالث فهو ظلم الإنسان نفسه. ودليله قوله تعالى:

﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (النحل، ٣٣)

وقد يكون المقصود من الميل المحرم في قوله تعالى: (ولا تركزوا) الميل إلى الكافرين والمشركين والمنافقين والمذنبين. يقول الله تعالى:

إن الله سبحانه وتعالى منزّه عن الظلم وحرّم الظلم على نفسه وعلى عباده. وكان أمر الله تعالى (لا تظلمون ولا تُظلمون) أساس قاعدة مجلة الأحكام العدلية "لا ضرر ولا ضرار". حرّم الله تعالى جميع أنواع الظلم وكذلك القرب من الظالمين واتباعهم والميل إليهم إذ قال:

﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ (هود، ١١٣)

إن الظلم الذي سلّطت الآيات الكريمة الضوء عليه مفهوم شامل. ومن المعلوم أن الظلم ضد العدل. ويُعرّفه اللغويون على أنه "وضع الشيء في غير محله"، ويكون ذلك بإنقاص الشيء أو زيادته أو تأخيرها أو إخراجها عن مكانه. والطريق لتجنب الظلم عدم ظلم أحد وعدم السماح لأحد بالظلم وتجنب دعم الظالم والتقرب إليه. والظلم في القرآن الكريم يُستخدم للتعبير عن الشرك بالله ويشمل جميع الذنوب الصغيرة والكبيرة.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام، ٦٨)

﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (النساء، ١٤٠)

فهاتان الآيتان الكريمتان دليل على وجوب البعد عن الكافرين والمنافقين وعن المذنبين، لأن صحبة أمثالهم تجرُّ إلى الكفر أو إلى ارتكاب ذنب على الأقل.

ومن المعلوم أن الصداقة لا تكون إلا بالمحبة المتبادلة. وقد قال الشاعر طرفة بن العبد:
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه..
فكلُّ قرين بالمُقارن يقتدي.
وقال نبينا الكريم ﷺ:

"المرء على دين خليله" (الترمذي، الزهد، ٤٥)

وكلمة "الركون" الواردة في الآية ١١٣

من سورة هود تعني الميل إلى الشيء بمحبة والرضا عنه. وتعني أيضاً "الميل اليسير".

فالآية الكريمة تنهى عن الميل إلى الظالمين بأي شكل من الأشكال والاهتمام بأمرهم.

وقد فسر بعض من التابعين كلمة "لا تركنوا" في الآية الكريمة كما يلي:

ابن زيد (توفي ٧١ / ٦٩٠): "لا تتملقوا للظالمين".

أبو العالية (توفي ٩٠ / ٧٠٩): "لا ترضوا بأعمال الظالمين".

قتادة (توفي ١١٧ / ٧٣٥): "لا تحبوا الظالمين ولا

تطيعوهم".

ابن جريج (توفي ١٥٠ / ٧٦٧): "لا تميلوا إلى الظالمين" (الفرطبي، ١١، ٢٢٥)

وذكر المفسر الزمخشري (توفي ٥٣٨ / ١١٤٤) أن النهي في الآية يشمل ما يلي:

"لا تتبعوا أهواءهم، ولا تميلوا إليهم، ولا تجلسوا معهم وتحدثوهم، ولا تزورهم، ولا تتملقوا إليهم ولا تلينوا معهم، ولا ترضوا عن أعمالهم، ولا تشبهوا بهم، ولا تقلدوا ثيابهم، ولا تغبطوا أحوالهم، ولا تعظموهم وتعظموا أفعالهم" (الزمخشري، ٣، ٢٤١).

ومنهم من قال أن الميل هنا يعني لا ترضوا عن ظلم الظالمين وتعديهم على حقوق الآخرين، فاستحسان ظلمهم، فذلك يعني مشاركتهم في ظلمهم.

وذكر الإمام الغزالي (توفي ٥٠٥ / ١١١١) أن معية الظالمين والفاستين والغافلين تتحول إلى معية ذهنية مع مرور الوقت، وهذه المعية الذهنية تتحول إلى معية قلبية، وهذا ما يجز الإنسان إلى الهلاك شيئاً فشيئاً.

وفي هذه الآية الكريمة مثال جميل على تعبير القرآن الكريم الدقيق للمعاني بألفاظ دقيقة:

فالركون إلى الظالم ليس فعل الظالم بل هو أخف منه، لذلك يكون جزاء الركون أخف من الظلم نفسه، لذلك وردت عقوبة الركون بكلمة "فتمسككم النار"، فمس النار أخف من حرقها. فإذا كان جزاء الظلم الإحراق بالنار، كان الركون إلى الظالم المس بها، لذلك لم يقل الله تعالى: "ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتدخلوا النار" (ابن أبي الإصبع، بدیع القرآن، ٢، ٧٨).

وهذه الآية الكريمة دليل على سد الذرائع سواء أكان دليلاً قطعياً أم ظنيّاً. (طاهر بن عاشور، ١٢، ١٧٨).

(وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)
[البقرة، ١٦٥]
يُعرِّف اللغويون الظلم على أنه "وضع الشيء في غير محله"، ويكون ذلك بإنقاص الشيء أو زيادته أو تأخيرها أو إخراجها عن مكانه. والطريق لتجنب الظلم عدم ظلم أحد وعدم السماح لأحد بالظلم وتجنب دعم الظالم والتقرب إليه.

لو تبكون ولو تفهمون

الإنسان لا يبكي لأنه خسر بل لأنه رأى. لا يبكي لأنه خسر بل لأنه يطلب إلى الحقيقة. لا يبكي لأنه خسر بل لأنه اشتاق إلى القرب مع مَنْ يجب. لا يبكي لأنه خسر بل لأنه يرغب في الجلوس في موائد الجنة ويصحب أولياء الله. لا يبكي لأنه خسر بل لأنه يشعر بنقص العشق في قلبه.

"أرسلت قلبي إلى هذه الدنيا أولاً كي يرى ما فيه، ثم رجع إلى الآخرة. وأرسلته إلى عالم المعنى، فلم يرجع".
إننا بعيدون عن المعنى. والبعد عن المعنى يُرمز إليه بالأم التي تبتعد عن صغيرها، فهي تفقد معنى الأمومة.

وفقدان المعنى ينعكس على جميع العلاقات، العلاقة بين المعلم والطالب، والزوجة والزوجة، والطبيب والمريض، والمدير والعامل... وإذا حُرِمَ القلب من الفضائل والجمال مثل المعنى، والنور، والحب، والبركة، فهذا يعني أن التيار قد انقطع بينه وبين سيدنا محمد ﷺ.

إن فيروس الدنيوية يضعف بل ينهك العالم المعنوي للإنسان. وميل الإنسان إلى الدنيا مصدر المصائب. لذلك فقدنا قدرتنا على الرؤية، فصار الواحد منا أعمى وأصم وأبكم. وأما سبب ميل الإنسان إلى الدنيا فهو جهله بمقام القلب وقيّمته وسره ومعناه. يقول الله تعالى:

لقد أكرمت أمة محمد بسرور تجربة حديث النبي "المؤمن مرآة المؤمن". ودين الإسلام يمثلُ العشق العظيم الذي يجري بين قلبين. يقول عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "إن المقصود من المؤمن الأول والمرآة قلبُ المؤمن الصافي، وأما المؤمن الآخر الذي يرى انعكاسه هناك فهو الله تعالى".

ويقول مولانا جلال الدين الرومي:

"إن الذي يتجرد من الصورة ويطهر قلبه يغدو مرآة لصور الغيب. ولا شك أنه يفهم سرنا، لأن المؤمن مرآة المؤمن".

فنور الله يتحد بنور النفس المطهّرة. ويغدو الإنسان يعلم نفسه من المرآة الإلهية في قلبه.

إن القلب يعشق الله والمعنى. وقد أخبرتنا رابعة العدوية بسر القلب في قولها:

﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة، ٧]

إن أشد المصائب إماتة القلب الذي يتسع لله تعالى الذي لا يتسع له الكون. والإنسان الذي مات قلبه أسفل السافلين، لأنه فقد نوره الإلهي. يقول الله ﷻ:

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال، ٢٢]

إن القلب عاشق لنور الله، ورسول الله ﷺ سراج منير، وقد أتم نور الله، وجمع قلوب أفراد أمته بنور الهداية.

ولا يمكن إلا للقلب الطاهر أن يدخل في رحمة الله ويستنير بنور آياته. والشفاء في الحقيقة يأتي من رحمة الله ونوره. ورحمة الله تشفي، وتلين قلب الإنسان وتفتح بصيرته.

وأعظم إحسان وهبنا الله تعالى إياه أن جعلنا من أمة محمد ﷺ نظهر الحق وأكرمنا بنور الإسلام الذي يزهر الباطل. فإذا كنا نريد أن ينعكس النور المحمدي على حياتنا، علينا أن نعي بأننا ظلمنا أنفسنا، ونذكر بأنه لا سبيل لنا للنجاة من شر الشيطان إلا اللجوء إلى الله تعالى. وعندئذ يتطهر قلبنا من محبة سواه تعالى، وبهذا الإدراك العظيم نعرف خالقنا ونحبه حباً عظيماً.

وفي القلب رغبة بالشهادة، فمن يتشوق للوصال مع خالقه، ويذلل نفسه ويستشهد في سبيل الله، فإن الله يكرمه ويُعلي مقامه. وقد قال رسول الله ﷺ: "من طلب الشهادة صادقاً، أعطيها، ولو لم تصبه". (مسلم، الأمانة، ١٩٠٨/١٥٦) وعلامة القلب الذي بلغ درجة الكمال الشهادة وبذل النفس. والشهداء أعظم قدوة، لأنهم تخلوا عن العيش في حياتهم من أجل السعادة في الدنيا والطمأنينة فيها، ونالوا بمنزلة الشهادة نبع فيوضات لا ينضب، ونبع شفاء، ونور هداية. والقلب في قلوب الشهداء ينير الكون كله وينعكس على قلوب المؤمنين حتى قيام الساعة.

وسيدنا الحسين أعظم الشهداء سيبقى مصباحاً لا ينطفئ حتى قيام الساعة. فقد بين بالشجاعة في قلبه وقوة

مقاومته أنه قادر على تغيير تاريخ الدنيا، وكان سبباً في وجود النور المحمدي في قلوب أمة محمد ﷺ.

وقد دعا رسول الله ﷺ بدعاء:

"اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع، ومن دعاء لا يسمع".

فتمة طريق من العين إلى القلب. ويقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ [المائدة، ٨٣]

فكلما كانت طاقة قلب الإنسان أكبر، كانت قدرته على البكاء أكبر. والقلب والعقل مترابطان بالدمع. وقد أخبرنا المفكر الإسلامي نجيب فاضل كيساكوراك بحكمة عظيمة إذ قال:

"ابك اليوم، فقد لا تبكي غداً. وما تدركه اليوم قد لا تدركه غداً، لو أنك بكيت لأدركت".

إن العجز عن البكاء دليل على غلاظة القلب. فإذا غلظ القلب سُدَّ الطريق من القلب إلى العين، وجفَّ الدمع، وفسد العيش المعنوي. والإنسان الذي لا تدمع عينه، يكون فاقداً للمشاعر، بعيداً عن الرحمة، يمشي بلا هدف ولا غاية، ويَطْبَعُ على قلبه، فيُحَرِّمُ من كرم الله ولطفه وبركاته.

وإذا انعكست الحقيقة على صفاء المرآة الإلهية، وشعر الإنسان بنور العون الإلهي، وانعكست الأسرار الإلهية على مرآة القلب، جذبت أنهار الدمع في بحر السعادة الإلهية الإنسان إليها. وإذا تجلَّى الجمال الإلهي ببريقه العظيم، فاض بحر الرحمة، فوصل العبد إلى مرتبة العشق، وتنفس النفحات الرحمانية، وشم رائحة الآخرة، وتلذذ بروحانية مقام القربية، وذرف دموع السعادة.

والإنسان لا يبكي لأنه خسر بل لأنه رأى. لا يبكي لأنه خسر بل لأنه يطلب إلى الحقيقة. لا يبكي لأنه خسر بل لأنه اشتاق إلى القرب مع مَنْ يحب. لا يبكي لأنه خسر بل لأنه يرغب في الجلوس في موائد الجنة ويصحب أولياء الله. لا يبكي لأنه خسر بل لأنه يشعر بنقص العشق في قلبه.



◀ أنس قره دنيز

حق السيف

وعمارَة المدن في الإسلام



المستمدة من الإسلام نفسه وكذلك تقاليد الشعب والعادات والأعراف. عندما قام السلف ببناء مدينة، كانوا يركزون أساسًا على الجوانب الداخلية للمنزل وقاموا بتصميم المدينة على أنها نسخة موسعة من مفهوم المنزل لدى المسلم. على سبيل المثال يُعد المنزل مكانًا خاصًا، فكانت المدن العثمانية تتشكل وفقًا لتصور المسلم للمنزل. ويظهر هذا الشكل نفسه على شكل مركز المدينة والحى. أي كان مركز المدينة كمكان الترحيب بالضيف في المنزل، ففيه يكون الدبلوماسيون أو التجار أو المهاجرون أو غيرهم، فيمكنكم الدخول والإقامة فيه، بينما تكون المناطق المقابلة للمركز هي التي حُظِرَت على الضيوف وأخفيت عنهم.

كان سكان المناطق السكنية الداخلية يحتفظون بنفس فهم الحياء والخصوصية حتى بينهم. فقد كانت نوافذ المنازل لا تطل على نوافذ المنازل الأخرى، وكانت النوافذ التي تطل على الشارع

إن عمارَة المدن في الإسلام كما هو الحال في أي فهم للعمارة قد تشكلت بواسطة عدة عوامل عامة (الجغرافية والزمان والمكان) ومؤثرات خاصة.

أهم العوامل الخاصة هي ما إذا كانت المدينة قد بُنيت من الصفر أم تأسست عن طريق الفتح. فعند بناء المدن من الصفر، يتم نسجها بأكملها بفهم إسلامي وتفصيله، بينما في المدن التي تم الحصول عليها بواسطة الفتح، يظل تأثير إرث الحضارة السابقة لا يمكن تجاهله بالكامل، حيث يستمر في إضفاء لمسة جديدة على العصر الجديد. ومن أفضل الأمثلة على ذلك هو اختيار الدولة العثمانية إسطنبول عاصمة بعد فتحها، وقد قام محمد الفاتح ببناء قصر جديد في مكان قصر الإمبراطورية البيزنطية. ويجب أن لا ننسى أن مسجد الفاتح قد بني على كنيسة قسطنطين وقبر الفاتح في محل قبر ملك البيزنطيين.

ومن العوامل الخاصة الأخرى التي تؤثر في العمارة الحضريّة الإسلامية هي التأثيرات الثقافية

تُغطى بالستائر. كما تم إيجاد حالة تقديم وإمكانية الوصول من خلال إنشاء شوارع مغلقة وغير قابلة للوصول حول المنازل، وكذلك بناء الحدائق عادة في الجهة الخلفية للمنزل، مما يسمح لأفراد الأسرة بالتجول هناك بعيداً عن الأنظار وبشكل آمن. كما أن ثقافة الشرفة كانت تلعب دوراً مهماً، حيث كانت الشرفات مخفية، وكان لها وظيفة عازلة للنظر بنسبة كبيرة مقارنة بالشرفات البارزة.

وهكذا فإن هندسة المدن الإسلامية قد تطورت في العالم الإسلامي عموماً وفي المجتمع التركي بشكل خاص، نتيجة لاستقرار مجموعة من القواعد المستوحاة من الإسلام والأعراف. بل يمكن القول إن السبب الرئيسي لظهور المنازل بشكل مشوه وغير متوازن عند النظر إليها من الأعلى ليس أن الأسلاف لم يكونوا يعرفون الهندسة، ولكن لأن موضع كل منزل كان وفقاً لموضعه من المنزل الآخر بهدف ضمان الخصوصية.

تتوسع كل مدينة إسلامية حول مسجد يُبنى ليصبح فيما بعد رمزاً للمدينة. ولهذا السبب يتمتع هذا المسجد الأول والأكبر (بما في ذلك المراحل اللاحقة) بمكانة بارزة من حيث الهندسة والفن والحرفية، ولا يمكن مقارنة المساجد التي تم بناؤها لاحقاً بها من هذه الجوانب. كما أنه يشكل نموذجاً للمعابد الأخرى من حيث الهندسة والذوق الفني. وفي العصر السلجوقي كان يُطلق على هذا النوع من المساجد اسم "المسجد الكبير"، وكان إمام هذه المساجد، مثلما كان الحال في الحضارة الأندلسية، قاضياً (كبير القضاة، شيخ الإسلام) في الوقت نفسه. وهذا يعني الجمع بين مركز المدينة وأعلى سلطة في الفقه في المكان نفسه، مما يسمح ببناء ثقافة مدينة تحت إشراف الفقه.

إذا تركنا جانباً القيمة الرمزية لبناء مثل هذا المسجد في مركز المدينة، فهناك هدف آخر مقصود هنا أيضاً. ويمكننا العثور على هذا الغرض في أداء الصلاة، والتي تعد أهم جانب عملي للإيمان الإسلامي، كما ورد في الحديث الشريف: "الصلاة عماد الدين". فالناس يأتون المساجد عدة مرات في اليوم لأن الصلاة تكون أعظم أجراً عند أدائها مع الجماعة. وهذا جعل المساجد مكاناً للتواصل الاجتماعي والإعلام بين المسلمين، إضافة إلى كونها مكاناً مفضلاً ونموذجياً للمجتمع.

كان الوصول إلى المسجد المركزي الذي يستضيف أكبر عدد من المصلين أمراً يسيراً. أدت هذه الحاجة إلى نتيجتين: أولاً، تم بناء المسجد في مركز المدينة، وثانياً، قام المجتمع ببناء منازل حول هذا المسجد، مما أدى إلى توسع المدينة حوله. فهندسة المدينة عند النظر إليها من الأعلى تبدو متسقة مع المسجد الكبير. وتبدو قبة المسجد الرئيسية هي قمة جبل، وأن المنازل المحيطة بها هي الغطاء النباتي الذي ينتشر على سفوح الجبل. كانت العصور التي كان فيها الأتراك أكثر تأثيراً في تاريخ الإسلام هي الفترات التي أصبحت فيها هذه المساجد "مجمعات" وأصبحت نوعاً من "المدينة داخل المدينة". بالإضافة إلى وظيفتها الدينية، أصبحت هذه المساجد قلب المدينة من خلال توفير الخدمات العامة، مثل

التعليم (المدرسة)،
والرعاية الصحية (دار
الشفاء، المستشفى)،
والمكتبة، والمأوى،
وحتى الأسواق.
فكانت المساجد في
مقدمة الأماكن التي
ينبض فيها قلب
المدينة. ←



إذا تمكنا من شرح مدى أهمية المسجد المركزي في هندسة المدن الإسلامية مركزاً ونموذجاً للمعابد الأخرى، فيمكننا الآن التعبير عن رأينا الشخصي الذي يمثل تحليلاً. تشكلت المدن الإسلامية بشكل مخالف لمسار التاريخ البشري، حيث ولدت وتوسعت حول المسجد الكبير، وليس حول القصر، الذي كان مكان إقامة الحكام وإدارة الدولة. أصبح هذا الفهم فهماً دقيقاً لدى المسلمين، وكان من السهل تطبيقه في المدن التي بنوها من الصفر. ومع ذلك، فقد كان من الصعب تنفيذ هذا الفهم الدقيق في المدن التي بنيت بعد انتشار الفتوحات التركية. أولاً، كانت المدينة الجديدة بالفعل مركزاً، وكان من غير المرجح أن يكون هناك مساحة كافية لبناء معبد بحجم المسجد الكبير في هذا المركز. ثانياً، حتى لو كان هناك مثل هذا المجال، فإن بناء مجمع من النوع المذكور أعلاه سيستغرق سنوات، مما قد يؤخر استيطان المنطقة المسلمة المكتسبة، لأنه لا يمكن أن تكون حياة حضرية بدون مسجد. إضافة إلى ذلك، فإن بناء مسجد جديد قد يؤدي إلى تحرك مركز

تبدو قبة المسجد الرئيسية هي قمة جبل، وأن المنازل المحيطة بها هي الغطاء النباتي الذي ينتشر على سفوح الجبل. كانت العصور التي كان فيها الأتراك أكثر تأثيراً في تاريخ الإسلام هي الفترات التي أصبحت فيها هذه المساجد "مجمعات" وأصبحت نوعاً من "المدينة داخل المدينة".

المدينة، مما يؤدي إلى إعادة إعمار المدينة، وهذا قد يكلف المسلمين تكلفة مادية هائلة. وهنا تم اللجوء إلى تطبيق ساعد المسلمين، ألا وهو حق السيف.

قام المسلمون بتحويل أي معبد يوجد في المنطقة التي فتحوها في دار الحرب إلى مسجد، وتم تسمية هذا التحول بـ "حق السيف". وبهذه الطريقة مُنِعَ الإخلال بتنظيم المدينة، وفي الوقت نفسه، مُنِعَ تأخير استيطان المسلمين وتطور المدينة الإسلامية حتى بناء مسجد رئيسي. وعلاوة على ذلك، كانوا يوفرّون على الدولة المبلغ الذي كان يجب إنفاقه على بناء مسجد جديد وضخم. بفضل عبقرية الفاتحين، تم تشكيل المدينة المتحصنة حول مسجد آخر، وتم تحميل الكثير من الضغط عن خزانة الدولة المعروفة بـ "بيت المال"، وتحول المعبد المحول إلى مسجد إلى علامة ورمز للسيادة، وأصبحت هوية الشخص المسلم وساماً على ذلك. وبالتالي، أسست هندسة المدينة الإسلامية نفسها إلى جانب فهم السابق، وليس حول القصر، بل حول المسجد، وحافظت على هذا الفهم في المدن الجديدة التي فُتِحَتْ، حيث تم تحويل أكبر بناء ديني في المدينة بعد الاحتلال إلى مسجد عن طريق حق السيف، وتم تأمين المحافظة على فهم المدينة الذي يركز على المعبد.





علي بويوك جابار

ما هي المراحل التي مر بها عقل الإنسان على مدى ستة آلاف عام حتى وصل إلى اليوم؟.

يجري الحديث عن وجود الله تعالى في القرآن الكريم مترافقاً مع هذه الحكم: دليل الوجود، الدليل الكوني، دليل الغاية والنظام، دليل التجربة الدينية، دليل الأخلاق.

وإن الخطباء في المساجد، والمعلمين في المدارس، والشيخ في طرق التزكية والتربية يعلمون جيداً أنهم مكلفون ببيان وشرح هذه الأنوار.

لقد كان إبراهيم عليه السلام ينطلق من دليل الغاية والنظام ليتوصل إلى أسرار الإيمان، فيا ترى بأي دليل نطلق في طريقنا نحن؟ ألا يسألون الرجل ما دليلك؟ وأين بوصلتك؟ إن قناديل طريق التصوف الذكر! فإذا لم يتم التوقف والاطلاع على أسرار الأذكار التي تُردد كل يوم، وأسرار الأدعية التي تُكرر كل يوم فلن يتقدم الإنسان إلى الأمام قيد أنملة. ومن ثم فإنه لا يليق بالدرويش الغفلة عن الذكر وطريق تربية النفس يمر عبر إنضاجها على موقده!

ويلفت القرآن الكريم الأنظار إلى هذه النقطة حينما يقول: ﴿...فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (الزمر: ٢٢)

إننا اليوم بحاجة ماسة إلى العلم والمعرفة.

فمنهج تدريس وبيان المعلومات الدينية في العالم الإسلامي لا يتطابق ويتوافق مع خطوات الانتقال من التربية إلى التعليم. وإن شعبنا يواجه صعوبة ومشقة في تجاوز المعوقات والمصاعب المادية والمعنوية والتغلب عليها لأن حل الألغاز والرموز الأساسية للمحيط الاجتماعي الذي نعيش فيه من وجهة النظر الأخلاقية يحتاج إلى وقت ونفس طويل.

وكذلك من الضروري النظر إلى قراءة الكتب ومطالعتها على أنها جزء من الذكر، بل وشرط لازم.

أما إذا كنا نريد تعلم العلوم الدينية بقراءتها من أوراق التقويم، أو كنا لا نلقي بالاً بتعلمها فإن رياح الحياة سوف تقذف بنا إلى أبعد مما نحن فيه، وسوف نعاني من صعوبات ومشقات جمة في الوصول إلى عالم الحكمة.

هل يمكن أن يكون للبحث عن السكينة والطمأنينة والسعادة منفرداً أهمية بينما تسير الحياة التي نعيشها وسط توازنات متعددة ومختلفة ومتشعبة؟

إن أخلاق المتع والشهوات التي أنتجها العصر الحديث تدفع بالإنسان في كثير من الأحيان إلى حالة من الضيق والسأم حتى من نفسه. وفي اللحظة التي نفكر فيها بطريقة لتلبية احتياجاتنا يشتعل فيل الصراعات وتبدأ الكوارث.

وإن فهم الأحداث يتعقد يوماً بعد يوم ويصبح أكثر مشقة وصعوبة. في الوقت الذي لا يخفى فيه على أحد أهمية المعرفة والعلم يحاول أغلب الناس حصر أنفسهم ضمن دائرة ضيقة ومحدودة من الحكمة المزعومة ومواجهة الحياة من تلك الدائرة. ويواجه الإنسان يوماً بعد يوم صعوبة بالغة في الوصول إلى السلام الداخلي والطمأنينة بسبب حصر سبب وغاية الخلق بالطعام، والشراب، والملذات والشهوات البدنية، والسلطة والرياسة. ويكاد لا يخطر على بال أحد الوقوف مثل إبراهيم عليه السلام والنظر إلى السماء التي فوق رؤوسنا!

وفي الوقت الذي تنتظر فيه حكم الخلق هناك يلهو الإنسان ويتقلب في الملذات وهو لا يدري ماذا يفعل بسبب اضطراب الحياة وتراكم الالتزامات، ثم يقرأ عن محن وآلام الإيمان ويمضي وكأنه يقرأ حكايات وأساطير الإنسان القديم.

لا أريد العودة إلى الوراء كثيراً. وإنما أريد فقط العودة إلى سنوات الدراسة وكتابة بعض المصطلحات والمفاهيم التي كنتم تسمعون بها خلالها، وتوجيه أسئلة إليكم حولها.



من دروس
الشيخ محمود سامي رمضان أوغلو

الإصلاح بين المؤمنين

١٠- يدعي أن هذا الفعل قد أضره وأهمه، إلا أنه يكون قد دفع نفسه للغيبة.

تتعلق سبب نزول الآية الجليلة المتعلقة بالغيبة باثنين من الصحابة اغتابا سلمان الفارسي رضي الله عنه.

فقد قيل: نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر، ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل، فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب، فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ شيئاً لهما، فلما قدما قالاً له: ما صنعت شيئاً. قال: لا غلبتني عيناى فنمت، قالاً له: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعاماً، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعاماً، فقال رسول الله ﷺ انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له: إن كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك، وكان

أسامة خازن رسول الله ﷺ وعلى رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة طعام ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً فلما رجع قالوا: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها. ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ، فلما جاء إلى رسول الله ﷺ قال لهما: "ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟" قالوا: والله يا رسول الله ما تناولنا يوماً هذا لحماً. قال: "ظلمتما تأكلان لحم سلمان وأسامه".

[تفسير الخازن، الحجرات، ١٢]

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات، ١٠]

أي إن جميع المؤمنين هم كأخوة ولدوا من أب وأم تحت لواء التوحيد. ولذا يعني الأمر الإصلاح بين إخوانكم بإزالة النزاع والاختلاف. وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا يَاجِبُ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات، ١٢]

إن الأسباب الرئيسة للغيبة هي:

١- أنها تهدئ غضب المغتاب أو حقه بالكشف عن مساوئ أحوال الذي يغتابه.

٢- يشارك في الغيبة بالموافقة على غيبة أصدقائه.

٣- يرغب في تشويه سمعة الذي يغتابه بتقبيحه.

٤- يُبرئ نفسه من الصفة التي ينسبها للذي يغتابه.

٥- يحاول إثبات فضل نفسه عن طريق الكشف عن نقص الآخر.

٦- يغتاب الشخص الذي يحبه الناس ويكرمونه حسداً منه.

٧- يستهدف إضحاك الناس على الذي يغتابه كي يستمتع بذلك.

٨- يغتاب بغرض الاستهزاء والتحقير.

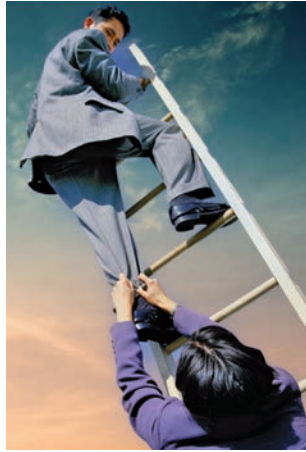
٩- يُعجب بنفسه عند إتيان الذي يغتابه بفعل منكر.



كيف تُطفأ نار الحسد؟

عن الحسد لأنه يسبب لك الضيق، وهذا ما يقتضيه العقل والمنطق، لأنه ضيق عديم الفائدة. وأنت تعلم أيضاً عقوبة الحسد في الآخرة، فكيف لا تترك الحسد على الرغم من ذلك؟ هل هناك أي شيء أعجب من محاولة استفزاز غضب الله؟

أيها الحاسد، إذا استطعت أن ترى حالتك في الحلم أو الكشف، فستواجه مشهداً مروّعاً. فمثلك مثل رجل يطلق النار على عدوه ليقتله، لكن رصاصه تترد وتصيب عينه اليمنى وتخرجها، فيغضب من ذلك، فيطلق الرصاصة الثانية بالطريقة نفسها، فترد وتخرج عينه الأخرى، ويطلق الثالثة غاضباً، فتدخل في جمجمته، ويبقى عدوه في سلام. ربما تكون حالة الحاسد أسوأ من هذا. لأن عيني هذا الرجل التي رماها على عدوه وتسببت في فقدانه بصره ستعيش حتى الموت وستموت معه. لكن الخطيئة التي نشأت عن الحسد لا تموت بالموت، بل يغضب الله تعالى عليه بسبب ذلك، ويُلقى في جهنم.



فما ذكرناه حتى الآن هو علاج الحسد بالعلم. إذا فكر الإنسان بعقله السليم وبصيرته، فسوف يطفى نار الحسد في قلبه، لأنه يعلم أن الحسد يدمره، ويسعد عدوه، ويزعزع سلامه، وينتهي به الأمر إلى غضب الله تعالى. العلم هو كائن لا نهاية له ولا يمكن الإحاطة به. كلما فكر الإنسان في عظمة الله تعالى وكبريائه وملكوته، زاد استمتاعه بكل نعمة، ولا شيء يمنعه من ذلك. ومن أجل ذلك لا أحد يحسد، لأن تمتع الآخرين بالمتعة نفسها لا ينقص منه شيئاً.

اعلم أن الحسد من أكبر أمراض القلب. وأمراض القلب يمكن علاجها فقط بالعلم والعمل. والعلم الذي يفيد في علاج مرض الحسد هو معرفة أن أولى الأضرار التي يسببها تكون لنفسك. لا يوجد أي ضرر على المحسود في الدنيا أو الدين، بل ربما هناك فائدة له في الجانبين.

الضرر الديني: إنك لا ترضى بقسمة الله ولا تقبل قضاءه بسبب الحسد، وتغضب من ميزان العدل الذي يحققه بين الأمور الظاهرة والمستترة. وهذا يتعارض مع

جوهر التوحيد ويشكل سهماً مغروزاً في عيني الإيمان. هذا يكفي لك. لا حاجة إلى البحث في هذا الموضوع أكثر من ذلك. ومع هذه الجرائم، خدعت أحد المسلمين، وتركت النصيحة له، وتحالفت مع الشياطين والكفار في حب المصائب للمسلمين وحب سلب النعم عنهم. هذه الأدران في قلبك. هذا المرض يدمر الأعمال تماماً كما يدمر النار الحطب.

الضرر الدنيوي: عندما يحسد الإنسان شخصاً آخر، يُشعل ناراً في قلبه، ويأكل نفسه. لأنك كلما حسدت غيرك، زاد الله تعالى نعمته عليه. وكلما زادت نعمته عليه، اشتد مرضك. تتخبط في الضيق، وتتقلب في الظلام، ويضيق صدرك، ويذهب نومك، ويأخذك هذا المرض إلى الموت. وهذا ما يريده الشيطان أيضاً. فبينما تريد أن تندهور حالته، تقع أنت في حالة من السوء.

ومع ذلك، فإن حسدك لن يكون له أي تأثير في نعمته. وحتى لو لم تكن تؤمن بالآخرة والحساب، فعليك التخلي

من حريفة الفؤاد

عصاه نوري طوباس

دنيا قلب المسلم

السييل لحفظ القلب من الغفلة والقسوة

Gönlü Gaflet ve Kasvetten Korumanın Yolu

التقوى TAKVÂ

ثمة إرادة في كل عضو، ولكن القلب هو العضو الوحيد الذي لا توجد فيه إرادة مستقلة. إرادته تأخذ شكلها أساسًا مما يتلقاه من تأثيرات إيجابية أو سلبية من حوله. القلب مثل الماء، يأخذ شكل الوعاء الذي يدخله، ولونه، ورائحته. فلا بد من حفظ القلب في مجال تأثير الصالحين والصادقين وحمائته من تأثيرات الفاسقين والغافلين.

إن الإيمان يكون بالنطق باللسان وتصديق القلب، فهو فعل قلبي. وأعمال القلب مثل النيات والمشاعر تشكل نواة كل الأعمال. ومركز المشاعر الذي هو القلب يوجّه التفكير، والتفكير يوجّه الإرادة.

لذا فإن حفظ القلب في حالة يرضى بها الله ضرورة أعظم من حفظ الأعضاء الأخرى. وقراءة الكتب بما في ذلك القرآن الكريم والأحاديث النبوية وكتب العلماء الصالحين والمتعلمين المتقين، بتفكير عميق هو أيضًا وسيلة هامة لتعزيز الروحانية والفهم العميق للمعاني.

ولكن الأهم من ذلك هو القراءة من الصدور لا من السطور. عندما ننظر إلى عصر النبوة، لا نرى أنه صلى الله عليه وسلم قد أعطى الصحابة القلم والورقة، بل ربّاهم في مجالسه، ففي المجالس تسري الأحوال من قلب إلى آخر، ويقع الإنعكاس والإنصباغ.

إن المؤمنين الذين يستسلمون بكليتهم لذكر الله تعالى، ينالون من الألفاف الإلهية ويصيبهم الخير الكثير مادياً ومعنوياً.

في حديث يقول الله تعالى:

«أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم، وإن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»

(البخاري: التوحيد، ١٥)

استفاد أصحاب النبي الكرام من أحوال نبينا الحبيب عليه الصلاة والسلام وأقواله وأفعال فانعكست على أحوالهم ومعاملاتهم فبلغوا درجة الصحة.

ولكن إذا لم تكن فرص لمثل هذا النوع من التأثير والمجالس والصحبة الفعلية، فتُعَدُّ قراءة الكتب الإسلامية والتفكير فيها وسيلة مهمة لتعزيز الروحانية، بل تُعَدُّ ضرورة.

وفي ظل انتشار التلفاز والإنترنت وآثارهما السلبية والإعلانات المضلّة،

والأمور الدنيوية التي تجعلنا ننسى الآخرة بجميع جوانبها، لا بد من التوجه إلى صوت الحق والعبرة، وفتح قلوبنا لتلقي الحكمة.

وكما قال الإمام الشافعي: "نفسك إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل".

عندما نتحدث عن حالة قلب المؤمن، فنذكر معرفة الله، وحب الله، والإخلاص، والتقوى، والإحسان، والقرب، والعناية، والصبر، والشكر، والرضا وغيرها من أحوال القلب. فتحليل حياة قلب متميز بهذه الصفات يختلف كثيرًا عن تحليل قلب خام لا يستفيد من هذه الصفات. كلاهما ينظر إلى المشهد نفسه ظاهراً، ولكن ما يفهمانه يختلف تماماً. لهذا قال أحد العارفين:

"إن هذا العالم للعقلاء مشاهدة للبذائع، وللحمقى طعام وشهوة".

وقال الشيخ سعدي الشيرازي:

"يرى العاقل في كل ورقة من أوراق الأشجار الخضراء ديواناً لمعرفة الله، أما الغافل فلا يرى في الأشجار كلها ورقة واحدة".

وقال: "ينتفع العاقل من الحكمة حتى في النكتة والقصة. أما الغافل، فحتى لو قرأ ألف باب من الحكم، فلا يراها إلا قصة".

مثّل الصالحين والصادقين مثل النّسمة التي

تهب على حديقة مزينة بزهور نادرة

مثل الورد والزنبق والقرنفل

فتحمل الرائحة العطرة لتشرح

الصدور. ومثّل الغافلين

والفاسقين مثّل الريح التي

تعصف على القمامة فتنشر

الرائحة الكريهة فتسد الأنفاس

ويضيق الصدور.

هنا نتذكر تنبيه مولانا جلال

الدين الرومي حول كيفية إلقاء الناس

الناظرين إلى الأمور المعنوية مثل الحب والمودة بنظرهم

الضيقة، إذ يقول: "أنصف! ما أجمل العشق! ولكن

الذي يؤذيه هو سوء طبعك. لقد أطلقت اسم العشق

على الشهوة. لو كنت تعلم، لرأيت مسافة طويلة بين

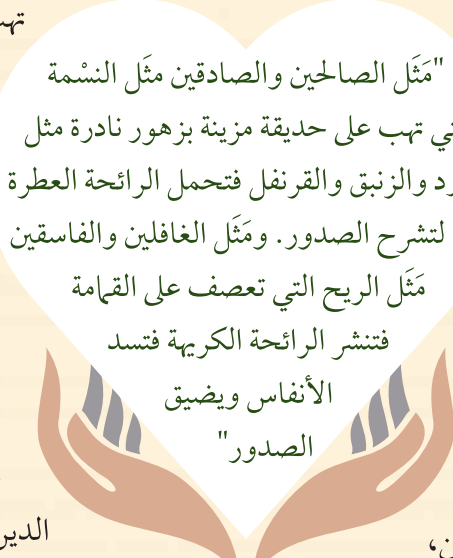
العشق والشهوة!

عشق الله يجعل قلب المؤمن يقظان، أما العشق

الدنيوي والشهواني فيجعل الإنسان أحمق وغيباً".

فشتان بين نظرة المؤمن المليئة بالفطنة والبصيرة

المعنوية وبين نظرة غافلة من قلب خالٍ من الحق.



القرآن الكريم هو دليل الهداية ومصدر الشفاء والرحمة للمؤمنين الذين يتزين قلوبهم بالتقوى، ولا يزيد الظالمين إلا خسارًا كما ذكر في الآيات الكريمة.

كان هناك كثير من المشركين والمنافقين الذين قرؤوا القرآن الكريم أو استمعوا إليه في عصر النبوة. ومع ذلك، زاد ذلك من خسائرتهم الروحية وشدة كراهيتهم وعنادهم. فكانت لديهم عيون ولكنهم ما كانوا يبصرون، وآذان ولكنهم ما كانوا يسمعون، وقلوب ولكنهم ما كانوا يشعرون.

كل إنسان لديه إدراك وفهم وفقًا لقلبه. عندما نظر أبو بكر إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، رأى تحفة من الفضائل في هيئة إنسان وأحبه بصدق، وصار محبًا صادقًا للنبي. أما أبو جهل، فعندما نظر إلى النبي، رأى السواد الداخلي في نفسه، ولذلك أصابته كراهية شديدة وأمسى عدوًا لدودًا.

لذلك تظهر أهمية حال القلب. على الإنسان أن يُحرّر قلبه من الفظاظة والضحالة وفقر الرحمة، وهو واجب لكل مؤمن. وفي هذا السياق نرى نبينا محمدًا صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة لنا. كيف أحيا القلوب في عالم الجهل؟ و زرع زهور الفضيلة في أرض جافة؟ وكيف استخدم أساليب التربية؟

بهذه التربية النبوية زالت أهواء الدنيا عن قلوب الأصحاب. وفقدت الدنيا في عيونهم سحرها كما تفقد النجوم بريقها بشروق الشمس. وأصبحت الآخرة شغلهم الذي يشغل قلوبهم.

فهذا يعني أن المعرفة العقلية وحدها لا تكفي، بل نحتاج أيضًا إلى إحساس القلب. كان مولانا جلال الدين الرومي مثلًا في قمة المعرفة العقلية، وكان معلمًا في أعظم مدارس عصره. ولكن الذي وجّهه إلى الحياة الروحانية والتصوف وفهمها فهمًا عميقًا كان درويش اسمه شمس التبريزي.



فالقلب الذي تحول إلى قمامة الغفلة بسبب عدم حفظه من شرور العصر يصبح أعمى أمام الحقائق، فيرى الشقاء سعادة لجهله. يرى الحياة والأحداث والكون رؤية نابعة عن غباء، فلا يستطيع فهم آيات القرآن الكريم فهمًا صحيحًا، ولا فهم الكائنات بلسان حالها، ولا يستطيع إدراك أمور الحياة، ولا يعرف لماذا جاء إلى هذا العالم، وفي مُلكٍ مَنْ يعيش، ولا إلى أين المصير.

لهذا يقول يوسف خاص حاجب:

"كلمة العاقل عينٌ للجاهل".

هذا يعني أنه من الضروري أن نلتفت بقلوبنا إلى دعوة الأنبياء وأولياء الله الذين يمتلكون العقل الحقيقي الذي يؤدي إلى الحياة على الصراط المستقيم، فعليًا أن نعلم بأن القلب هو الذي يرى حقيقة الأمور وما العين إلا نظارة للقلب. فعلى سبيل المثال الإنسان الذي ينظر إلى البحر من الشاطئ يرى سطحه، ولكن الغواص الماهر يشهد مناظر مختلفة تمامًا عند كل غوصة في عمقه. وكذلك الإنسان الذي يجلس أمام المصحف ويقرؤه يستفيد منه وفقًا لعمق إيمانه.

كان شمس هذا متصوفاً يفيض قلبه بحب الله. ولم يكن لديه علم مولانا الرومي، ولكنه اكتشف محيط الحب الإلهي في قلب مولانا الرومي، فحرّره من قيود النفس التي كانت تعيقه عن السير قدماً في الروحانيات. كان شمس مثل شرارة رُميت في محيط من النفط، فاشتعل قلب مولانا بحب الله.

وقد عبّر مولانا الرومي عن حاله في الماضي بأنه كان "نيّاً"، فلما سارَ في طريق الروحانيات وصف نفسه بأنه "نضج واحترق".

كان مولانا الرومي يعرف ما الرحمة والرفقة والإيثار عقلاً، ولكنه بفضل إرشاد شمس أدرك هذه الفضائل قلباً، أي ارتقى من علم اليقين إلى عين اليقين وحق اليقين. حتى لم يرَ أنه له الحق في الدفء وعبء من عباد الله يشعر بالأرض على ظهر هذه البسيطة. وقد قال:

"وإنني أعلم أن على الأرض مَنْ يعاني من شدة البرد، فما عدت أستطيع أن أشعر بالدفء".

على المؤمن أن يطرح على نفسه أسئلة مهمة بشأن أبنائه، مثل:

- ماذا أفعل بشأن تربية أبنائي الذين هم أمانة من الله؟

- ماذا أعلمهم وأي ثقافة أقدمها لهم؟

- هل أولي أهمية أكبر لمستقبلهم الأبدي من مستقبلهم الدنيوي؟

- هل أولي أهمية بتعليمهم القرآن؟

- هل أعودهم منذ صغرهم على الصلاة والذهاب إلى المسجد والمشاركة في الجماعة والسخاء والتصدق؟

إن السبيل لحفظ القلب من الغفلة والقسوة هو فهم التقوى فهماً صحيحاً والاعتصام بها. ولكن ما التقوى؟ التقوى هي التغلب على الشهوات النفسانية وتطوير القدرات الروحانية. إنها الابتعاد عن ما حرمه الله تعالى قلباً وجسداً، خوفاً من فقدان رضا الله ومحبته.

في هذا العالم الذي هو كأرض مليئة بالألغام، علينا أن نكون حذرين في خطواتنا كما لو أننا نسير في حقل الغام.

سأل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أبيّ ابن كعب فقال له:

ما التقوى؟

فقال أبيّ: يا أمير المؤمنين أما سلكت طريقاً فيه شوك؟

فقال: نعم، قال: فماذا فعلت؟

قال عمر: أشرّ عن ساقبي و أنظر إلى مواضع قدماي و أقدمّ قدماً وأؤخّر أخرى مخافة أن تصيبني شوكة، فقال أبيّ ابن كعب:

تلك هي التقوى.

وأجمل مظهر للتقوى هو حماية القلب أولاً من الآفات المعنوية مثل الكفر والنفاق والشرك، ثم من العيوب البشرية المقيتة مثل الرياء

والعجب والكبر والبخل والإسراف والتجسس. لذا يجب الابتعاد عن المحرمات كما نبتعد عن النار، ونؤدي أوامر الله تعالى بحب وتقان.

فالقلب يوجّه الإرادة بناءً على التأثيرات المحيطة به، فمن الضروري تعزيزه بمجالس وأحاديث وعلاقات صالحة وصدقات محبة مع الناس الصالحين. وعلى الجانب الآخر، يجب أيضاً حماية القلب من الانخراط



على المؤمن أن يطرح على نفسه

أسئلة مهمة بشأن أبنائه، مثل:

- ماذا أفعل بشأن تربية أبنائي الذين

هم أمانة من الله؟

- ماذا أعلمهم وأي ثقافة أقدمها لهم؟

- هل أولي أهمية أكبر لمستقبلهم الأبدي

من مستقبلهم الدنيوي؟

- هل أولي أهمية بتعليمهم القرآن؟

- هل أعودهم منذ صغرهم على

الصلاة والذهاب إلى المسجد والمشاركة

في الجماعة والسخاء والتصدق؟



في تأثير الكفَّار والفَسَّاق والغافلين، لأن الله قد قال في سورة التوبة، الآية ١١٩:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

وفي سورة الأنعام، الآية ٦٨:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ

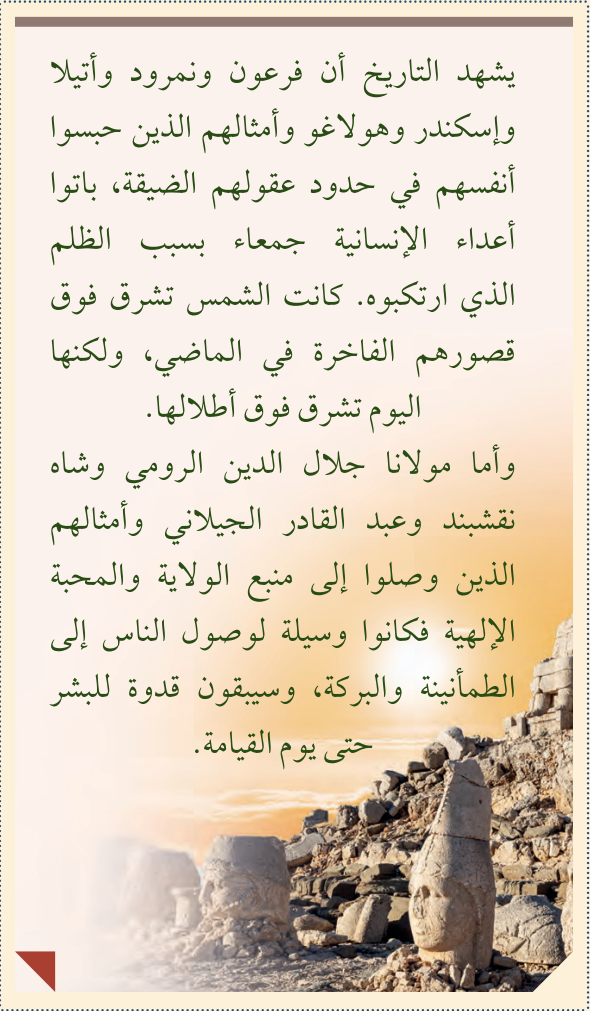
عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ

الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

يعني هذا أن هناك تأثيراً تدريجياً يحدث بين الأصحاب والأصدقاء الظاهريين كما قال الإمام الغزالي، ويتحول التأثير الظاهري إلى تأثير عقلي، والتأثير العقلي يتحول بعد مدة إلى تأثير قلبي، وهذا يعني أن الإنسان يتجه تدريجياً نحو الهلاك.

يشهد التاريخ أن فرعون ونمرود وأتيلا وإسكندر وهولاغو وأمثالهم الذين حسبوا أنفسهم في حدود عقولهم الضيقة، باتوا أعداء الإنسانية جمعاء بسبب الظلم الذي ارتكبوه. كانت الشمس تشرق فوق قصورهم الفاخرة في الماضي، ولكنها اليوم تشرق فوق أطلالها.

وأما مولانا جلال الدين الرومي وشاه نقشبند وعبد القادر الجيلاني وأمثالهم الذين وصلوا إلى منبع الولاية والمحبة الإلهية فكانوا وسيلة لوصول الناس إلى الطمأنينة والبركة، وسيبقون قدوة للبشر حتى يوم القيامة.



يشهد التاريخ أن فرعون ونمرود وأتيلا وإسكندر وهولاغو وأمثالهم الذين حسبوا أنفسهم في حدود عقولهم الضيقة، باتوا أعداء الإنسانية جمعاء بسبب الظلم الذي ارتكبوه. كانت الشمس تشرق فوق قصورهم الفاخرة في الماضي، ولكنها اليوم تشرق فوق أطلالها.

وأما مولانا جلال الدين الرومي وشاه نقشبند وعبد القادر الجيلاني وأمثالهم الذين وصلوا إلى منبع الولاية والمحبة الإلهية فكانوا وسيلة لوصول الناس إلى الطمأنينة والبركة، وسيبقون قدوة للبشر حتى يوم القيامة.

إن جوهر الوجود واحد، وهناك ميل للتشابه في جميع أنحاء الكون. إذا سقطت زجاجة عطر مثلاً في أحد زوايا الغرفة، تنتشر الرائحة الجميلة التي تنبعث منها حتى تتساوى في جميع ذرات الهواء التي تملأ الغرفة. أو إذا كان هناك انفجار في أحد أنابيب الصرف في الطريق، فإن رائحته الكريهة تستمر في الانتشار بالطريقة نفسها في جميع أنحاء الطريق.

هذه الظاهرة قاعدة فيزيائية. ولكن تكون الحال مشابهة في الجانب الروحي أيضاً. فأحوال القلوب تنعكس على ما حولها. عندما تتحول الذرة إلى طاقة، ينبعث إشعاع هائل لا يمكن رؤيته ولكن يمكن أن يشعر به الإنسان.

وبالطريقة نفسها تبعث القلوب طاقة إلى ما حولها. وتُسمى هذه الطاقة الإيجابية "الفيض والروحانية"، وتُسمى السلبية "الغفلة والقسوة".

وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: "اللهم، لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندي يداً ولا نعمة". [ابن كثير، تفسير، المجادلة ٢٢]

لماذا؟

لأن الإنسان يتأثر بالإحسان. ويظل تحت تأثير الذين يرى الخير منهم.





"ما الحياة؟" إن الجواب
عن هذا السؤال مخفي بين
أحجار المقابر. فكل حجر
قبر ملتحف بصمت هو
ناصح يتحدث بلسان
حاله. والاستفادة اليوم
من الرسائل الصامتة
لأحجار المقابر هي وسيلة
كبيرة للسعادة الدائمة...
أليس الكفن الذي هو
الثوب الباقي في سوق
الحياة يُبطل جميع التجارات
الدنيوية والشهوات
العابرة، والملذات الفانية،
والرغبات التي لا تنضب؟

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عينة من ماء عذبة فأعجبته لطيبها، فقال: لو اعتزلت الناس، فأقمت في هذا الشعب، ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

"لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل الله أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزؤ في سبيل الله، من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة".

[الترمذي، فضائل الجهاد، ١٧].

فعلينا اليوم أن نعيش في المجتمع، سواء في المنزل أو في الأماكن القريبة، في الشارع، وفي العمل، وفي الأسواق، وفقًا لمبدأ "اليد في الكسب والقلب مع الرب".

نسأل الله أن يوفقنا جميعًا في هذا العمل، فما التوفيق

إلا من الله!

إن قول أحدهم لجدار بناء كافر أو مشرك أو منافق أو أي أحد من أهل الباطل: "ما أجمله!" هو مديح لا يُحسب له حساب، ولكنه يضر بالإيمان لأنه يعلي شأن الباطل، ويجلب غضب الله تعالى.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدًا فقد أسخطتم ربكم عز وجل". [أبو داود، الأدب، ٨٣؛ أحمد، ٥، ٣٤٦]

لذا علينا حماية قلوبنا من محبة الذين لا يحبهم الله. إن الإيمان يقتضي أيضًا أن يتمكن الإنسان من استخدام الحب استخدامًا صحيحًا. فالحب لأهله والكره لمتسحقه صفة عالية. ومن شروط صحة الإيمان الحب في الله، والبغض في الله.

لذلك من مقتضيات الإيمان:

أن نحب إبراهيم عليه السلام ونكره نمرود،

أن نحب موسى عليه السلام ونكره فرعون،

أن نحب النبي صلى الله عليه وسلم ونكره أبا جهل

ومثليه في عصرنا.

وسورة المسد تعلمنا كره أبي لهب مع أنه عم النبي

صلى الله عليه وسلم.

لا يمكن الحماية من شرور العصر سوى من خلال

الانخراط في المجتمع، وليس من خلال الانعزال في

الكهوف أو حياة العزلة في قمم الجبال.

إن الإسلام يطلب منا أن نكون جزءًا من المجتمع.

علينا أن نكون ممثلين جيدين لديننا السامي بأخلاقنا

وكلماتنا وأحوالنا وسط الناس، وأن نكون شهداء لله

على الأرض.

السلامة في الصلوات

كل شيء قريب من الله جميل ومبارك. وكلما قرب الإنسان من درجة القرب إلى الله، كان نصيبه من النور الإلهي أكبر، وكانت حياته أكثر بركة. وأقرب الناس إلى الله هو النبي محمد عليه الصلاة والسلام، لذلك هو أجمل مخلوق خلق، لأنه أكثر الناس نصيباً من النور الإلهي.

يقول فضيلة الشيخ عثمان نوري طوباش:

"إن الله وملائكته الذين لا يعلم أحد عددهم إلا هو يصلون دائماً على النبي ﷺ. لذا علينا أن نتذكر نبينا في كل لحظة من لحظات حياتنا، ونسلم له بكل معاني الإخلاص ونرسل الصلاة والسلام عليه. فالاسم يستحضر المسمى، ووفقاً لهذه الحقيقة، كل صلاة عليه تذكرنا بأخلاقه العالية وفضائله السامية، وبذلك نحافظ على ارتباط قلوبنا معه ارتباطاً حياً".

وفي حديث شريف يقول سيدنا النبي ﷺ:

"البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي" [الترمذي،

الدعوات، ١٠٠]

الحب الأعظم في العالم هو الحب الذي يشعر به الإنسان تجاه نبينا الحبيب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الذي هو سبب خلق الكون. وأسمى مظهر لهذا الحب هو قراءة الصلوات والسلام عليه. والآية الكريمة:

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب، ٥٦]

تؤكد على أن الله وملائكته يصلون على النبي دائماً. وبهذا يوحد المؤمنون الله تعالى بالمشاركة في حب الله لحبيه، عبر الصلوات عليه.



ويقول أيضًا: "من نسي الصلاة عليَّ خطئ طريق الجنة". [ابن ماجه، الإقامة، ٢٥]

والصلاة تصف أجمل أشكال السلام، فكل ركعة تحمل في طياتها كنز الإسلام وتقدم هدية رائعة من المعراج. في الركعة الواحدة توجد أربع وضعيات أساسية للجسم. القيام وهو رمز عالم الإنسان، وهو من الله. والركوع وهو رمز عالم الحيوان، وهو توجه إلى الله. والسجدة وهي رمز عالم النبا، وهي الشعور بالله، والجلوس وهي رمز عالم المعادن، وهي من أجل الله.

في أثناء هذه اللحظة الغالية، يذكر العبد دعاء التحيات، تمامًا مثل ليلة المعراج عندما كلم ربنا تعالى سيدنا محمدًا ﷺ. رفع الله تعالى شأن حبيبنا النبي ﷺ بكلمات: "السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته"، وأعطى سيدنا ﷺ هذه التحية لكل أمة، ولجميع العباد الصالحين.

هذا هو المشهد الأخير من الصلاة، يحتفل العبد بوجوده في حضرة الله والملائكة في السماوات، وبعد هذا الدعاء يملأ قلبه بالمحبة تمامًا، ثم يرسل الصلاة والسلام إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ.

وعند نهاية الصلاة، يدعو قائلًا: "اللهم أنت السلام ومنك السلام"، وبذلك يطلب السلامة والسلام من الله. ونحن أيضًا في كل جلسة من صلاتنا، نجدد شهادتنا لهذا المشهد، ونتمنى المشاركة في هذا السلام الذي أنعم الله به والذي أكرمنا به سيدنا وحبيبنا محمد ﷺ.

هذا العطاء الكريم منه صلى الله عليه وسلم ليس فقط بسبب رحمته وكرمه ولكنه أيضًا نابع من حقيقته. إن وجود العباد الصالحين يعتمد على وجود نبينا ﷺ. ونحن نرسل الصلاة والسلام إلى سيدنا ﷺ لحبنا له وتعظيمنا إياه، ونتمنى أن نكون من زمرة الصالحين بناءً على حبنا وتقديرنا له.

كل شيء قريب من الله جميل ومبارك. وكلما قرب الإنسان من درجة القرب إلى الله، كان نصيبه من النور الإلهي أكبر، وكانت حياته أكثر بركة. وأقرب الناس إلى الله هو النبي محمد ﷺ، لذلك هو أجمل مخلوق خلق، لأنه أكثر الناس نصيبًا من النور الإلهي.

كلما اقترب العبد من الله، وكلما دخل عالم قربه الإلهي، كان مشاركًا أكثر في نبع الفيض وكان له نصيب أكبر من السلامة ونعمة السلام. موطننا الأصلي زاهر بالنور، وخزان لا ينضب من كنوز الحب. موطننا الأصلي هو المكان الذي يوجد فيه الرضا والسكينة المطلقة. هو المكان الذي تجتمع فيه الحقيقة المحمدية. فالأولى بنا أن نكون في ذلك المكان المقدس. إنه مكان قدسي، وهو ساحة للانسجام وميدان للاستسلام. إنه المكان الذي يمكن فيه اكتشاف قدسية الحياة بأكملها، ورؤية بركة كل شيء في أي وقت. إن الأولياء والصديقين والشهداء والمحبين هم الذين يدخلون في الراحة والسكون والسلام، ويعممهم قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس، ٦٢]

وقد قال المتصوف السيد شريف جرجاني عن السلام: "هو الابتعاد عن كل ما يسبب الضيق في الدنيا والآخرة". إن السلام حالة للوجود. السلام هو حال، هو موقف.

والعبد الذي يصل إلى صفة السلام يتدفق عليه فيض الرحمة، ويستنشق النفس الرحماني، ويذوق عبق الآخرة، ويستمتع بعطر الذكر، ويسمع حديث صمت قلبه، ويشهد هطول كنوز لا تنضب. والعبد الذي يحظى بهذه الصفة يجد الثقة والسكينة والسعادة اللانهائية لأنه المخاطب في قوله تعالى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي. وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر، ٢٧-٣٠]
وقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البقرة، ١٧٩]

متى نبكي؟

قال الله تعالى:

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [سورة الأنعام (٦): آية ١٤٠]

أتركها فتركها حتى كبرت وأدركت، وصارت من أجل النساء فخطبوها، فدخلتني الحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجه أو أتركها في البيت بغير زوج، فقلت للمرأة: إني أريد أن أذهب إلى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثها معي، فسرت بذلك وزيتها بالثياب والحلي، وأخذت علي الموائيق بألا أخونها، فذهبت بها إلى رأس بئر فنظرت في البئر ففطنت الجارية أني أريد أن ألقها في البئر، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول: يا أبت! إيش تريد أن تفعل بي! فرحمته، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية، ثم التزمتني وجعلت تقول: يا أبت لا تضع أمانة أمني، فجعلت مرة أنظر في البئر ومرة أنظر إليها فأرحمها، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر منكوسة، وهي تنادي في البئر: يا أبت، قتلتنني. فمكثت هناك حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى النبي ﷺ وأصحابه.

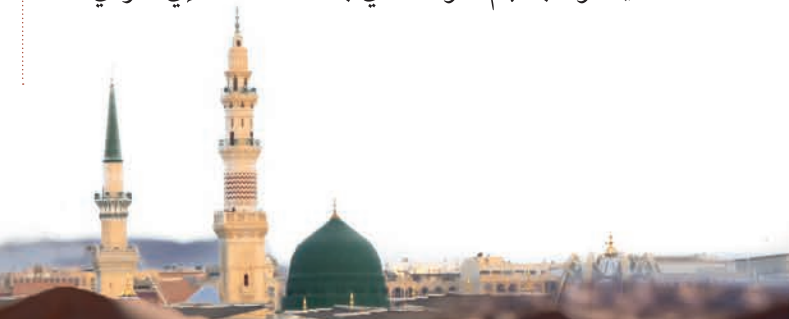
(تفسير القرطبي، الأنعام، آية ١٤١، ج ٧، ص ٩٦)

أحياناً نسمع آية كريمة أو حديثاً شريفاً، أو تصل إلى مسامعنا قصة، فتأخذنا إلى أماكن أخرى، ولا تتركنا طويلاً. وقد أخذني حديث شريف سمعته قبل بضعة أيام إلى أماكن بعيدة، وساعدني في إيجاد سبب مجموعة من الأخطاء التي نعيشها هذه الأيام، والتي نشهد تزايداً لها في مجتمعاتنا.

رُوي أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله ﷺ فقال له:

"ما لك تكون محزوناً؟"

فقال: يا رسول الله، إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله لي وإن أسلمت! فقال له: "أخبرني عن ذنبك". فقال: يا رسول الله، إن كنت، من الذين يقتلون بناتهم، فولدت لي بنت فتشفعت إليّ امرأتِي أن



عندما نقرأ هذا الحديث الشريف، نرى مدى قسوة الناس في العصر الجاهلي، وافتقارهم إلى الرحمة، وكيف كانوا يتخلون عن إنسانيتهم باسم تحقيق مصالحهم ورغباتهم، وحماية شرفهم في مكة. يخطر ببالنا عندئذ أن نقول: "الحمد لله أن هذا الجهل لم يعد موجودًا. لقد أصبحنا متحضرين، ورعاه، ومفكرين".

لكن الواقع أن المجتمع اليوم لا يزال يعاني من بعض هذه المشكلات. ففي مكة القديمة، كان من العار أن يكون المرء أبا لبنت. لهذا كانوا يقتلون بناتهم أحياء. وفي المجتمع الحديث أصبح من العار أن يكون المرء أبا لابنه الذي لم يحصل على شهادة، أو لم يحصل على وظيفة مرموقة، أو لم يحصل على دخل جيد. ولهذا يبدأ الآباء والأمهات في السعي جاهدين لتعليم أبنائهم في مدارس جيدة، سواء كانت هذه المدارس مفيدة لهم أم لا. وقد أصبح هذا الأمر مهماً حتى إن هذه المدارس أصبحت أكثر أهمية لرضا الوالدين عن أنفسهم، وحماية كرامتهم، من كونها مفيدة لأبنائهم. ولم يتم إجراء أي حساب للمساومات والخسائر التي قد تنتج عن تحقيق هذه المكاسب المستهدفة.

ثمة أعذار تبدو بريئة في النظرة الأولى، ولكن يُرادُ بها تدمير الأخلاق والأسرة، منها: "لكي تتمكن من الوقوف على قدميها، وألا تعتمد على أحد، وألا تسمح لزوجها أن يذلها، وأن تتمكن من رسم مسار حياتها عند الحاجة، وألا تواجه صعوبة في حالة الطلاق". هذه الأطروحات التي تمسكنا بها هدفًا مهمًا حلت بسهولة محل القيم التي سنخسرها.

واليوم هناك بنات من الآباء الذين يصلون والأمهات اللواتي يلتزم بالحجاب يشاركن في سباق التعري. لم يفكر هؤلاء الآباء المتدينون في الآخرة، وقالوا: "سيصلين عندما يدركن"، "ستتخذ قرارها الخاص بشأن معتقداتها وحياتها عندما تكبر"، "من السهل الحصول على الآخر عندما تحصل على المال

والسلطة". كان لديهم أشياء لم يتمكنوا من تحقيقها في سنوات شبابهم. كان عليهم إشباع مشاعرهم المتبقية. وحددوا المستوى لأولادهم قائلين: "الولد أصبح طبيبًا أو قاضيًا. لا شك أنه سيتزوج من فتاة تناسبه".

لم يكن هناك روحانية في كل هذه الخطط. لقد أقنعوا أنفسهم أن التعليم الذي تلقوه في دورات القرآن خلال عطلات الصيف سيكون كافياً لنسيج روحانية أطفالهم.

لو أتيت لنا الفرصة للجلوس مع رسول الله والتحدث عن الأخطاء التي ارتكبتها في الماضي... لو أتيت لنا الفرصة للتعبير عن بعض ندمنا... ولكن الندم الحقيقي... فماذا سنقول؟ ربما يكون العالم الذي أنقذ فيه مشركو مكة شرفهم بواد بناتهم البالغات من العمر ٨-١٠ سنوات قد انتهى، لكننا نعيش الآن في عصر ننقذ فيه شرفنا واحترامنا على حساب إيمانهم وأخلاقهم، ونفخر بمسار أطفالنا المهني في الاجتماعات.

لا ينبغي فهم هذه الكلمات على أنها رسالة مفادها أننا يجب أن نبقي أطفالنا في المنزل، أو لا نرسلهم إلى المدارس، أو نبدأ من

جديد حياتهم المهنية، أو نترك ربما يكون العالم المجال مفتوحًا تمامًا للآخرين. لكن المسلم يحكم العالم. لكن المسلم لا يضعي بآخرته من أجل حكم العالم.

من الواضح أننا نمر بمرحلة صعبة. لم تكن الفروق بين الأجيال أبدًا بهذا الوضوح. واجبنا هو أن نكون مسلمين وأن نبقي مسلمين، وأن نربي أجيالنا دون أن نسرف فيهم، وإلا فلن تنفعنا الدموع.

الأمـل حق

﴿نور الدين يلدز﴾

إن حق النظر بأمل وتفاؤل إلى الحاضر والمستقبل هو حق كل إنسان، وطأً هذه الأرض وهو مؤمن. فالأمل الحقيقي هو أمل هؤلاء.

إن إيمان الإنسان، وعيشه في الحياة، وهو من أهل الإيمان، هو ارتباط وتعلق بالله تعالى الخالق، والمانح للحياة، ومهما حاول الشيطان وأعوانه ومن وضعوا أنفسهم في خدمته، إظهار الإيمان والانتماء إلى أهله وكأنه سبب للعجز وانعدام الحيلة، وعملوا على إقناع عقول الناس بهذا الأمر فإن الحقيقة الكبرى تظل هي حقيقة أن الله تعالى مالك كل شيء، وصاحب القول الفصل، والإنسان المؤمن الذي يعيش في ظل هذه الحقيقة الكبرى، هو إنسان الأمل، فهو مفعم بالأمل، ومحط ووجهة للعيون التي تنظر بأمل على السواء.

إن الانتماء لأهل الإيمان معناه تجاوز التطلعات والطموحات المحدودة بعالم الدنيا، معناه العيش لأجل الآخرة، والاستثمار لأجل الآخرة، والنظر إلى الدنيا على أنها محطة يتوقف فيها لفترة على طريق رحلة طويلة، ثم يغادرها. فالمؤمن هو الإنسان الذي يعرف الدنيا وحقيقتها. يعرف ماض الدنيا ومستقبلها بشكل قطعي وجلي مثل معرفة وفهم الإنسان الذي ينظر من شرفة منزله للأشياء والأحداث التي تدور أمامه. المؤمن يعرف الدنيا من خلال أبيه آدم عليه السلام. فينظر إلى الدنيا على أنها المكان الذي هبط إليه من الجنة. إنه يعلم أنها لا تتخذ موطناً، ولكنها مسار إجباري يجب سلوكه للعودة إلى الوطن الأصلي.

يعرف الحياة التي يعيشها من خلال نوح عليه السلام. فحتى لو عاش المؤمن قروناً وليس سنوات، فإن الآلام والمتاعب، والمصائب التي يصادفها أمامه،



لا تقضي على أمله، فغايته واضحة ومحددة حتى ولو كان وسط صحراء قاحلة، أو في قلب طوفان يجرف دنياه كلها. إنه يعمل، ويكافح ويناضل، ولا يسأم أو ينهار أبداً. إنه يعيش بإيمان وبمقتضيات ذلك الإيمان الذي لم تستطع العصور القضاء عليه.

إن أحد مصادر أمل المؤمن هي الأمور التي رآها لدى إبراهيم عليه السلام والتي علمها من القرآن الكريم، فهو مستعد للصبر والثبات أمام مختلف العواقب والعقبات التي تظهر أمامه، مهما كان مصدرها، سواء كانت من بيته، أو من أبيه، أو من نظام، أو ملك يمتلك جيوشاً جرارة، إنه قد أخذ أمله، وثباته على طريقه والاستمرار فيه دون انكسار أو ملل، وثقته المطلقة بفوز الصابرين من إبراهيم عليه السلام.

لقد عرف منه عدم الاحتراق في النار. تعلم منه التحلي بالأمل، وتعلم منه الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، وقول "هو حسبي"، حتى لو تحولت همومه وأشكال معاناته إلى ألسنة لهب تتأجج بين جوانحه.

المؤمن ينظر إلى موسى عليه السلام، ويرى ما هي الأمور التي يجب أن يتحملها، والمخاطر التي ينبغي أن يخوضها، ويدرك أن المتاعب والآلام قد تبدأ حتى قبل الولادة، ويعلم أن الله سبحانه وتعالى إذا أراد حفظ الإنسان ورعايته، فلن تغرقه المياه، ولن يعاديه أحد، وعندما يدرك ويعلم ذلك، فإن بذور الأمل سوف تنفتق وتنمو وتكبر في داخله.

المؤمن يتذكر النبي عليه الصلاة والسلام ودعائه في الطائف، إنه يحاول أن يراه في طرقات وأزقة مكة، وفي مسجده في المدينة، وعند سفوح جبل أحد، يراه وهو يحمل المعول بيده في الخندق، ويشر بسقوط ملك كسرى، يشاهد

حماسه وتفاؤله الذي لم يستطع الفقر، والوحدة، والعزلة، والحصار، القضاء عليه. إنه يستعرض أمام عينيه ذكرياته مع أصحابه بحلوها ومرها، ولحظات الحزن والفرح، التي قضاها مع أهل بيته، وكأنه يعيش معه. إنه مع كل حادثة يفكر بها يذهب إلى تلك الأيام، إنه يقارن بيته ببيته، وصلاته بصلاته، ومدينته بمدينته، ثم يجد لنفسه مكاناً في تلك الدنيا الواسعة، إنه يجلس بأمل وتفاؤل، وينهض بأمل، وبالأمل يأوي إلى فراشه، وينهض منه في كل صباح، ليستقبل يوماً جديداً.

المؤمن ينظر إلى وعد الله بالجنة.



يجهد المؤمن، ويكافح ليكون "مؤمناً عاملاً" وهو مدرك تمام الإدراك، أن ربه لا يضيع أجر عامل، لا يرضى بالجلوس، والانتظار، ونسج الأخيلة والأوهام، وإنه يجعل كل عمل مهما كان صغيراً أو كبيراً لوجه الله. ويؤمن يقيناً أن الله سوف يضاعف أجر عمله ليصبح مثل جبل أحد وإن كان صغيراً.

إنه يأتمن الله سبحانه وتعالى على حاضره، ومستقبله، وعلى ما في يده، وفكره. فهو يدرك أن الله تعالى لا تضيع عنده أمانة، فإن كان المؤمن كما ذكرنا فلم بعد ذلك لا يكون من حقه الأمل والتفاؤل! فحقه حسن الدنيا، وحسن الآخرة. ومن حقه التطلع والطموح، وبلوغ تطلعه. ومن حقه الجنة والأمل بالجنة أيضاً.

فساد العقائد يقود إلى جهنم

يقول الوليد بن عباد بن الصامت:

"دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت، فقلت: يا أبتاه، أوصني واجتهد لي. فقال: أجلسوني. فلما أجلسوه قال: يا بني، إنك لما تطعم طعم الإيمان، ولم تبلغ حق حقيقة العلم بالله، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره!. قلت: يا أبتاه، وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره؟ قال: تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك. يا بني، إنني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"إن أول ما خلق الله القلم. ثم قال له: اكتب. فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة".

يا بني، إن متَّ ولستَ على ذلك دخلت النار". (ابن

كثير، التفسير، ٤/ ٢٦٨)

لقد توصل مذهب أهل السنة والجماعة إلى المبادئ والأصول الصحيحة للإيمان والعقائد وثبتوها في مصنفاتهم وكتبهم. وقد استغرق هذا الأمر قروناً من الزمن. وظهر الكثير من الآراء والأفكار

والاتجاهات والفرق بشأن القدر، وقيل فيه الكثير من الكلام البعيد عن المنطق، والضال. وإن من بين هذه التيارات والفرق فرقتان ملفتان للنظر وقعت إحداها في الإفراط، والأخرى في التفريط؛ ويطلق على إحداها القدريّة، وعلى الأخرى الجبريّة.

لقد كانت هذه المسألة قد انقضت وأصبحت من الماضي منذ زمن طويل. ولكن مع الأسف يقوم اليوم بعض العلماء والمشايخ بإثارة هذه المسألة مرة أخرى وكأنها "جديدة"، ويعيدون بث الحرارة في هذه العقيدة ويضعونها أمامنا وكأنها "صحيحة". وبالجدالات والنقاشات العقيمة التي تسود بينهم ومن ثم تنعكس على العامة تضيع الجهود هباء، وتفسد الألفة والمحبة، وتتفكك الوحدة، وتسود الفرقة والتناذب. إننا نفهم على بعض هؤلاء، ولكن بكل أسف هناك الكثير ممن لا نفهمهم.

تري إلى ماذا يهدف هؤلاء العلماء الذي نشاهد لهم جهوداً مخلصّة لأجل الإسلام، في الحقيقة لم نعرف ذلك!

أي المجتمعات أعظم حضارة؟

إذا نظرنا في ماضيها الذي كانت تسود فيه الأخلاق الإسلامية، سنجد أن فقراء الناس وأغنياءهم كان يرأف بعضهم ببعض، فقد كان يعيش الغني والفقير في البلدة نفسها في طمأنينة وسكينة دون أي فروقات في التجمّعات والأحياء السكنية، وكان كل حي مأوى للأرامل واليتامى والمساكين، فإن كان ثمة مريض في البيت، وُضِعَتْ ورود حمراء في شرفة المنزل، كي يمر الباعة من أمام البيت دون إزعاج، ويلعب الأطفال في مكان آخر.

لقد كان ذلك السلوك نتاج تربية عظيمة، فأَيُّ مربِّ اليوم أو أي عالم نفس أو عالم اجتماع يستطيع أن يضع أمامنا مثل هذه التربية؟

إننا نجد اليوم في حفلات الزفاف والأعياد مجموعة من الناس إذا أرادوا أن يستمتعوا أطلقوا الألعاب النارية، غير آبهين بالمجتمع من حولهم، ولا مراعين لأحوال الرضع ولا الحوامل ولا المرضى ولا المكرويين.

فهذا هو الفارق في الإنسانية والراقي في المجتمعين...

إنها نتيجة مؤسفة لسنين قضاها الناس في انحلال ثقافي وحضاري...

دعونا الآن نلقي نظرة سريعة ومقتضبة على هاتين الفرقتين. ولنعلم أن هذه الجدالات قديمة وقد انتهت منذ زمن بعيد.

إحدى هذه الفرق هي القدرية. وهذه الفرقة تنكر القضاء والقدر كلية. ولكن لا يمكن نسب أهل هذه الفرقة إلى الكفر لكون فعلهم بقصد تعظيم الشرع الشريف. وقد بلغ الأمر بهؤلاء إلى حد القول أن "العبد يخلق أفعاله بنفسه"؛ ولهذا فقد تعرضوا لنقد وهجوم شديد من قبل علماء أهل السنة. وبالأخص علماء بلاد ما وراء النهرين فقد أبدوا تشدداً وحزماً في هذا الباب، وقالوا: "إن أحوال المجوس خير من أحوال القدرين".

رغم أن أتباع المذهب القدري بدأوا بالاعتقاد بالقدر فيما بعد، إلا أنهم كانوا يعتقدون أن الخير من الله ﷻ، والشر من غيره، فلم يستطيعوا بذلك التخلص من التشبه بالمجوس الذي يؤمنون بعقيدة الإلهين.

وأما الفرقة الأخرى فهي "الجبرية" مذهب البدع. وهؤلاء على عكس القدرية، حيث يقولون: "إن كل شيء مرتبط بالقضاء والقدر. وليس بيد العبد شيء". فالله هو خالق الفعل، والاختيار، والقدرة". ولأنهم لا يقرون بالإرادة الجزئية للعبد فإن العبد حسب رأيهم غير قادر حتى على الإيمان بإرادته. فعندهم من شاء الله إيمانه آمن، ومن لم يشأ الله إيمانه كفر.

يبدو أنهم في الوقت الذي يعملون فيه بحسن نية على تنزيه الله تعالى، ينحرفون بسبب ضحالة معرفتهم وعلمهم إلى التفريط، فينسبون الظلم إلى الله دون أن يتنبهوا.

فإن لم يكن للعبد حرية اختيار كما يدعون، ألن يأتي أبو جهل معترضاً على الله بقوله: يا رب! ما ذنبي أنا؟ فأنت خلقتني كافراً، فكفري يعود إليك وليس إلي، إذ ليس لي من الأمر والاختيار شيء. فأنت كما شئت خلقت، وأنا عملت كما شئت. فلم تعذبني؟ أليس هذا بظلم؟.

اصفعوا وجه من يعتقد بذلك صفة قوية. فإن صرخ: لم صفعتني؟ فقولوا له: هذا قدرتي الذي كتبه الله علي، فماذا أفعل أنا؟

فهل برأيكم يقبل ما تقولونه له؟.



صحة

الأستاذ المساعد د. فرات أردوغان

إذا أكل الجد خوفاً حامضاً...

ومن المعروف أن الآباء الذي يأكلون كثيراً يكون أولادهم حريصين على أكل الطعام الكثير. وتعرض الأطفال للمشكلات المتعلقة بالسمنة (مثل مرض السكري، وارتفاع ضغط الدم) وإن لم يكونوا يعانون من السمنة يمكن تفسيره بالتغيرات في علم الوراثة اللاجينية. ويُقال إن الأحفاد الذين كان أجدادهم يعانون من السمنة قد يعانون هم أيضاً منها.



وأنتم تعلمون الأمراض المنتشرة وأسبابها المعقولة. وأما التغيرات التي تحدث بسبب عوامل خارجية فهي مجال علم الوراثة اللاجينية.

وهذا يعني الخروج من مقولة: "الأمر كله متعلق بالشفرة الوراثية، وينطبق على الجميع من آدم عليه السلام" إلى اختيار مقولة "إن ما يفعله الوالدان يؤثر في الأولاد وحتى الأحفاد تأثيراً يختلف عن تأثير الأجداد". فالتوأمين من بيضة واحدة يحملان المورثات نفسها تماماً، ولكن أحدهما يُصاب بمرض السرطان والآخر لا يصاب، فهذا دليل على تعرض المريض لشيء أفسد الأمر كله. ومن العجيب أيضاً قول إن فعل الأب شيئاً أو عدم فعله يؤثر في بعض صفات الولد وإن كانت نسبة تأثير الأم أكثر من ٥٠٪.

يمكن القول إن أبسط شيء تأكله الأم في حملها يؤثر في الصفات المتعلقة بالوراثة لدى الجنين. والعجيب أن ما صنعتته الأم قبل الحمل بل قبل الزواج قد يؤثر في مجموعة من صفات الجنين. هل تتساءلون مثل ماذا؟ محيطنا، وطعامنا، والأصبغة، والروائح، والغازات... والسجائر، والكحول، والنشاط أو الكسل، والسمنة

أردنا في هذه المقالة أن نعرفكم بمصطلح جديد اسمه: علم الوراثة اللاجينية، لأن أغلب الناس اليوم يعرفون مصطلح "علم الوراثة" أو "الجينات".

ولكن لماذا نتحدث عن هذا المصطلح في مجلة عامة وهو لا يثير انتباه المحترفين في مهنة الطب؟

ونحن نعلم أن تفاصيل هذا المصطلح لن يفيدكم بشيء ولكن انعكاساته في حياتكم اليومية لها مكانة كبيرة كما سترون.

والمورثات معروفة فهي التي تحتوي على المعلومات التي تنتقل من الوالدين للأولاد.

إننا في الأحوال الطبيعية نعتقد بأن الولد: أب + أم / ٢، أي إنه معدّل والديه، ونعتقد بأن الأولاد الذكور يشبهون الأخوال، والإناث يشبهن العّمات.

ولكن إذا حدث شيء غير متوقّع، فإننا غالباً ما نعتقد بأن الأم هي السبب.

لنقل: "لو أن الأم أكلت الكيوي مع الأفوكادو وليس وحده، لكان شعر الولد شعراً ناعماً مثل شعر خاله... ولكنها أكلته وحده، فصار مجعداً مثل شعر الذرة".



ومن المعروف أن الآباء الذي يأكلون كثيراً يكون أولادهم حريصين على أكل الطعام الكثير. وتعرض الأطفال للمشكلات المتعلقة بالسمنة (مثل مرض السكري، وارتفاع ضغط الدم) وإن لم يكونوا يعانون من السمنة يمكن تفسيره بالتغيرات في علم الوراثة اللاجينية. ويقال إن الأحفاد الذين كان أجدادهم يعانون من السمنة قد يعانون هم أيضاً منها.

ولنفرض أننا فهمنا هذا الموضوع وقبلناه، ولكن ما هو الأسوأ؟ إن الاعتياد على السجائر أيضاً ينتقل هكذا. كنا نربط هذه المسألة بالقدوات في الماضي، ولكن الأبحاث على المورثات كشفت التشابه في التغيرات لدى الأطفال الذي اعتادوا على السجائر.

هناك نبتة يعرفها كل من ذهب إلى أستراليا، إنها نبتة يستمتع الأكل بها ولكنها تصيبه بالسرطان لاحقاً. فكلما كان تناول الأب لهذه النبتة أطول، كان الولد سيئ الصحة (أي قبل ولادة الولد). ومن أكثر الأعراض الاستقلالية المنتشرة تأثير الجسم كامله لا سيما نظام الدوران.

وقد أثبتت التجارب على الحيوانات ومراقبة الأولاد أن الولد إذا كان أبوه يتناول الخمر كثيراً، فإنه يعاني من مشكلات جسدية ونفسية وإن لم ير أباه أبداً وعاش حياة سليمة تماماً، وهذا دليل أيضاً على علم الوراثة اللاجينية.

وأثناء البحث عن أسباب زيادة مرض السكري والسمنة في مناطق بربرا في جنوب شرقي الولايات المتحدة الأمريكية، ظهر أن لمرحلة الفقر والقحط التي عانت منها المنطقة في القرن العشرين تأثير كبير على هذه التغيرات. ثم مع زيادة تناول الحريات بالغذاء الطبيعي (وهو على المستوى المطلوب) ظهرت السمنة.

ولا شك، والضغط النفسي... ونظام النوم، وساعات العمل، والتعرض لأشعة الشمس أو عدم التعرض لها، جميعها يؤثر.

ومن المعروف أن الآباء الذي يأكلون كثيراً يكون أولادهم حريصين على أكل الطعام الكثير. وتعرض الأطفال للمشكلات المتعلقة بالسمنة (مثل مرض السكري، وارتفاع ضغط الدم) وإن لم يكونوا يعانون من السمنة يمكن تفسيره بالتغيرات في علم الوراثة اللاجينية. ويقال إن الأحفاد الذين كان أجدادهم يعانون من السمنة قد يعانون هم أيضاً منها.

ولنفرض أننا فهمنا هذا الموضوع وقبلناه، ولكن ما هو الأسوأ؟ إن الاعتياد على السجائر أيضاً ينتقل هكذا. كنا نربط هذه المسألة بالقدوات في الماضي، ولكن الأبحاث على المورثات كشفت التشابه في التغيرات لدى الأطفال الذي اعتادوا على السجائر.

هناك نبتة يعرفها كل من ذهب إلى أستراليا، إنها نبتة يستمتع الأكل بها ولكنها تصيبه بالسرطان لاحقاً. فكلما كان تناول الأب لهذه النبتة أطول، كان الولد سيئ الصحة (أي قبل ولادة الولد). ومن أكثر الأعراض الاستقلالية المنتشرة تأثير الجسم كامله لا سيما نظام الدوران.

وقد أثبتت التجارب على الحيوانات ومراقبة الأولاد أن الولد إذا كان أبوه يتناول الخمر كثيراً، فإنه يعاني من مشكلات جسدية ونفسية وإن لم ير أباه أبداً وعاش حياة سليمة تماماً، وهذا دليل أيضاً على علم الوراثة اللاجينية.

وأثناء البحث عن أسباب زيادة مرض السكري والسمنة في مناطق بربرا في جنوب شرقي الولايات المتحدة الأمريكية، ظهر أن لمرحلة الفقر والقحط التي عانت منها المنطقة في القرن العشرين تأثير كبير على هذه التغيرات. ثم مع زيادة تناول الحريات بالغذاء الطبيعي (وهو على المستوى المطلوب) ظهرت السمنة.

وموضوع السمنة بعد الجوع ظهر أيضاً في بولونيا بعد خروج النازية منها. وهناك من يدعي أن ردود الفعل على

ولا نريد هنا أن نطيل الموضوع بذكر مصطلحات خاصة مع أننا ذكرنا أمثلة تلفت الانتباه، ولكن علينا أن لا نستخف بالمثل التركي الذي يقول: "إذا أكل الجد خوفاً حامضاً، سأل لعاب الحفيد". فالعالم كله لا يستخف بهذا الأمر. فعلينا أن ننتبه إلى أحوالنا وحركاتنا، وعلينا أن نحافظ على صحة أجسامنا كي يكون أحفادنا في سلامة، ونكتفي هنا بأن ندعو الله أن يصلح ذريتنا.

دتم في صحة وعافية...

المستنقع الرقمي

يعرفه أكثر من أمه يحدّد له مستقبله.

لقد صار الطفل زبون العالم الرقمي، وهذا العالم سيستخدم الطفل كما يشاء، فيجعله يشرب ما يريد وحتى يحوّل جنسه. فالقوى الإمبريالية ترفض الفطرة والصفات الطبيعية، وتفرض على الناس ضرورة الاعتقاد بأن الإنسان حر في اختيار جنسه.

وقديدو هذا الأمر مبالغاً فيه، ولكن سيشهد الجميع على هذه الحقيقة بعد حين مع الأسف، وسيندم كثير من الآباء والأمهات لأنهم لم يهتموا بأطفالهم ولم يطلبوا رضا الله فيهم وتجنّبوا حمل المسؤوليات الملقاة عليهم، ولكن الوقت الذي مضى لن يعود، وسنكون متأخرين جداً حين نرى أطفالنا بالغين ولديهم مشكلات نفسية. وحتى طرق اعتراض الشباب على والديهم أثناء جدالهم اليوم تحولت إلى الطرق التي يرونها على الإنترنت ويقلّدونها. ويشعرون أنه عليهم أن يلعبوا

يُولد الطفل ولادة عظيمة، ولكنه يبدأ منذ عامه الثالث بالعيش في زمان نشاهد فيه ما يشاهده. فإذا انشغلت الأم بأمّ، يكون الهاتف بيد الطفل وهو يأكل طعامه، ثم يدرك الذكاء الصناعي أنه طفل حين يشاهد مقطع الفيديو الثاني، ثم يحسب أي فيديو أعجبه وماذا سيقترح له في المرة الأخرى. ويراقب حركات وجهه وعينيّه فيتوقع ما يريده من أمه، فيضع أمامه الإعلانات عن ذلك الشيء. فليست الألعاب وحدها ما تجمع البيانات منا باستخدام خصائص الهواتف الذكية بل كذلك التطبيقات.

يسجّل المعالج في هاتف الأم ما يريده الطفل ويرسله إلى الذكاء الصناعي، فهو يسجل ماذا يحب الطفل أن يكون في المستقبل، وماذا سيشتري، والألوان والأغاني التي يفضلها، ولماذا تلفت مقاطع العنف انتباهه. فلن يؤدي الطفل ما تريده الأم، لأن الذكاء الصناعي الذي





قد يبدو هذا الأمر مبالغاً فيه، ولكن سيشهد الجميع على هذه الحقيقة بعد حين مع الأسف، وسندم كثير من الآباء والأمهات لأنهم لم يهتموا بأطفالهم ولم يطلبوا رضا الله فيهم وتجنبوا حمل المسؤوليات الملقاة عليهم، ولكن الوقت الذي مضى لن يعود، وسنكون متأخرين جداً حين نرى أطفالنا بالغين ولديهم مشكلات نفسية.



وأشد ما يتعرض له الطفل للخطر القادم من العالم الرقمي يكون في مراهقته. وقد نظن أن الأمور كلها على ما يرام حتى المراهقة، ولكننا نكتشف لاحقاً أنها لم تكن كما نريد.

لا يرى جميع الأطفال خاصة الذين تزيد أعمارهم عن ٧ سنوات البحر أو الزلاجات التي يحبونها كثيراً. وبمجرد جلوسهم لدقائق معدودة، يشعرون بالملل ويأخذون هواتفهم ويذهبون إلى زاوية منعزلة. أعني أن الأطفال يعتقدون أن العطلة تعني الهاتف.

كل دقيقة إضافية نقضيها أمام الشاشة في تصفح المواقع يجعل موقع "فيسبوك" يكسب المزيد من المال. إنهم يخسرون المال في كل مرة نغلق فيها الشاشة. عندما نستخدم "جيميل"، تقوم أنظمة "غوغل" الآلية بفحص جميع مراسلاتنا الخاصة، وإنشاء ملف إعلانات مخصص لك. على سبيل المثال إذا كتبت إلى صديق عبر البريد الإلكتروني أنك ستشتري طبقاً، فسيظهر "جيميل" ذوقك في الطبق، وسيبدأ في إرسال إعلانات عن منتجات أطباق الخبز إليك.

الوضع نفسه بالنسبة لموقع "يوتيوب"، كلما شاهدت مقاطع فيديو لفترة أطول، زادت الأموال التي يكسبونها. تعتقد أنك تشاهدها مجاناً. يقولون "إذا لم تدفع مقابل شيء ما، فأنت المنتج".

الألعاب نفسها ويهتوا بالمناسبات نفسها، وإذا قرأ أحدهم كتاباً نافعاً أو شاهد فلماً وثائقياً مفيداً، سخروا منه. ويرون أنه ينبغي لكل شاب أن يكون له حساب في وسائل التواصل الاجتماعي مثل تيك توك وسنابشات وغيرهما. ولا يستطيعون أن يفهموا من ليس لديه حساب فيها. وكثير منهم لا يضعون جنسهم على صفحاتهم الشخصية. فيؤسفنا أشد الأسف أن نرى كثيراً منهم واقعين في المستنقع الرقمي.

إن المعية الذهنية تفتح الطريق للمعية القلبية. وثمة سعي لجعل القدوات السيئة طبيعية، وهذا ما يؤثر سلباً في نفسية الطفل. والشعور بالفضول لديه ينبّه الرغبة بالتقليد. إن الأطفال الأشد عرضة للمخاطر الرقمية هم المهملون مادياً ومعنوياً.

لقد فقد أطفالنا رغباتهم الطبيعية برؤية الجمال والتعاون والركض واللعب والسباحة والرياضة. فالطفل الذي يبتعد عن الهاتف هو الطفل الذي ينجو من المستنقع الذي وقع فيه.

فما أشدها من مصيبة أن نعطي الهاتف للطفل ولا نراقب ما يشاهد فيه. الطفل أمانة لدينا فعلياً أن نحفظ هذه الأمانة.

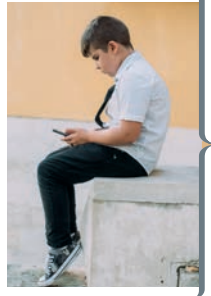
هل نضيع جوهرة إن كانت بين أيدينا؟ ألا نحفظها في مكان آمن؟ فلنحفظ الأمانات.

يقول الله تعالى: (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ) [الحديد، ٤]
(وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ
وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) [ق، ١٦]

يبحث عمالقة التكنولوجيا منذ الصباح حتى المساء
عن طرق لإبقائنا على الشاشة مدة أطول. كلما أصبحنا
مدمنين على الشاشة، وكلما زادت مدة استخدامنا
للشاشة، زادت الأموال التي يكسبونها.

كان رجل يمشي على طول شاطئ المحيط عندما
رأى رجلاً يرمي شيئاً في البحر. فاقترَب قليلاً منه،
فرأى أن الرجل يرمي نجوم البحر التي تأذت على
الشاطئ إلى البحر.

ما أشدها من مصيبة أن نعطي الهاتف
للطفل ولا نراقب ما يشاهد فيه.
الطفل أمانة لدينا فعلينا أن نحفظ
هذه الأمانة. هل نضيع جوهرة إن
كانت بين أيدينا؟ ألا نحفظها في
مكان آمن؟ فلنحفظ الأمانات.



فسأل عن سبب رميها في البحر. فأجاب الرجل الذي
كان يجمعها بسرعة ويرميها في البحر: "لكي يعيشوا".
فقال الرجل: "حسناً، لكن هناك آلاف نجوم البحر هنا.
ماذا تستفيد لو رميت بعضاً منها؟" فأخذ الرجل نجماً
آخر من الأرض وألقاه في البحر وقال: "انظر، لقد تغير
الكثير بالنسبة له". لا يمكننا تغيير حياة الجميع، لكن
يمكننا على الأقل أن نجعل حياة شخص واحد أفضل.

في الأمس لم نكن ننظر إلى المناطق الخضراء، واليوم
ندخلها بدفع المال. في الأمس كنا نتكاسل في قطف
الفاكهة من أغصانها، اليوم ندفع ثمنها. إذا كنا نعتقد
أن أطفالنا لا يعرفون القيم، فلننظر إلى أنفسنا أولاً،
ونتساءل ما قيمنا المتبقية؟

على كل واحد أن يسأل نفسه: "ما الخطأ الذي
ارتكبه؟" إذا كنا نبحث عن عيوب، فمن المحتمل

أن نجد عيوبنا الخاصة. يجب أن نكون قد فهمنا الآن
أهمية الرموز. لذلك يجب أن نكون حذرين عند إخبار
الأطفال بشيء، أو شراء ملابس أو ألعاب أو مشاهدة
الرسوم المتحركة. هدفهم أطفالنا، جيلنا. تريد القوى
العالمية إنشاء دُمية بلا ملكية، بلا جنس، بلا روحانية.

في الآونة الأخيرة هطل المطر. غالبية المظلات التي
فتحت في الشارع كانت بألوان قوس قزح. ربما يدعم
كثير من الأشخاص هذه الصناعة دون أن يلاحظوا
ذلك. أو أنهم لا يهتمون، وينظرون إليها على أنها "ما
هو الخطأ في ذلك، إنها الأشياء التي نستخدمها دائماً".

لأن هذه الأشياء أصبحت طبيعية ومألوفة لسنوات
حتى يتم استخدامها دون وعي. تم استخدام رسائل
الألوان والأشكال دون معرفة ذلك. تعمل نماذج
الملابس ومنتجات الموضة والألوان والنماذج دائماً
لصالح أعمال القوى العالمية.

إنهم يغيرون حتى الكلمات في لغتنا. يجعلون الكلمات
التي تختارها القوى العالمية بشكل خاص مستخدمة
في حياتنا اليومية. من خلال المطالبة بمكافحة الأبوية
يتوقعون إزالة الكلمات والعبارات ذات المعنى الذكوري
أو الأنثوي من اللغة. تبدأ في المجتمع بجعل الهويات
الجنسية غير واضحة، وجعل اللغة بدون جنس.

"إن سلامة الأسرة هي شخصية المجتمع وكرامته.
كانت المجتمعات دائماً تزدهر مع الأسر التي هي
قلاع العفة والأخلاق. رضا الله تعالى مرتبط بتلك
الفضائل والتقوى". (عثمان نوري طوبّاش)

أُسّرنا وأطفالنا تحت تهديد من المستنقع الرقمي.
فمن واجبنا جميعاً حماية الأسرة من الحركات الفاسدة
من خلال التمسك بالتراث الإسلامي الذي يضمن
وحدة بنية الأسرة. ومن واجبنا واهتمامنا جميعاً حماية
بنية الأسرة التي تتوافق مع قيمنا الأخلاقية والتي
تشكل أساس حضارتنا القديمة بجمال الأمثلة،
ونقل ذلك إلى الأجيال القادمة.



المصائد

النفسية الحديثة

إن المشاعر والردود العاطفية التي يكتسبها الإنسان بشكل عام، بدءًا من طفولته، تؤثر في حياته المهنية والزوجية، وفي دوره كوالدين، وفي حياته الاجتماعية، وفي تصوُّره لذاته، أي نظرتَه لنفسه. ولا يمكن أن لا تؤثر في حياته الروحية، وعلاقته بالله.

----- عائشة غوندوز -----

الذي أعطيته من مشاعر للشخص في الطفولة، سيكون تجسيده في المستقبل."

لا شك أن كل حالة سلبية نحن فيها، وكل شعور، ليست طريقًا مسدودًا غير قابل للرجوع. يمكن دائمًا التغيير والتحول والنضج. لكن علينا أولاً أن ندرك أن كل عقبة تمثل درجة على طريق رحلتنا للنمو.

إن المشاعر والردود العاطفية التي يكتسبها الإنسان بشكل عام، بدءًا من طفولته، تؤثر في حياته المهنية والزوجية، وفي دوره كوالدين، وفي حياته الاجتماعية، وفي تصوُّره لذاته، أي نظرتَه لنفسه. ولا يمكن أن لا تؤثر في حياته الروحية، وعلاقته بالله.

تحدّد كل تفاصيل تجربتنا في هذا العالم رؤيتنا للحياة منذ اللحظة الأولى التي وُلدنا فيها. والمشاعر التي نعيشها توجّه أفعالنا.

فمثلاً الشخص الذي يكون ذهنه مليئاً بشعور القلق يمكنه أن يعيش بانطباع أن الله لا يقدره وأنه

دائماً شعرت أن الاستثمار في نفسية أطفالي، وحالتهم النفسية، وقلوبهم، ومشاعرهم هو استثمار في كيفية تواصلهم مع الله... لأن كلمات وسلوكيات الوالدين تتحول إلى صوت داخلي للإنسان. وهذا يشكل أساساً لتصوُّر الشخص حياته وعلاقته بالله وتقدير الإنسان لذاته.

قال إبيكتيتوس: "وطن الإنسان هو طفولته".

تبدأ عملية التسجيل منذ الحمل. وتكون هذه السجلات التي تبدو وكأنها معلومات في الواقع عبارة عن "مستودع" يتكون من المشاعر. يتشكل في الطفولة وفترة الطفولة الأولى حيث تتشكل بتأثير من حولنا وثقافتنا وخاصة سلوك والدينا وفرحهم وحزنهم وتوقعاتهم.

"فترة الطفولة هي الفترة التي يكتسب فيها الإنسان المشاعر (...). لا يمكن استعادة المشاعر إلا في حالة الاضطراب النفسي في فترة البلوغ (...). ما

ليس جديرًا بالاحترام أو القدرة على القيام بشيء. ويمكن أن يظهر هذا الرد العاطفي في مواجهة الأحداث والظروف.



إن الكثير من محاولاتنا لحل مشاكلنا يمكن أن تكون رحلة عبر طفولتنا، ولكن يجب أن نأخذ ذلك في اعتبارنا فقط في حالة الوعي. لأن تأثير علم النفس الحديث قد يؤدي إلى تحميل الكراهية لوالدينا وتوجيه اللوم إليهم والاعتقاد بأنهم هم المسؤولون الوحيدون عن السلبيات في حياتنا، ولكن ذلك لا يفيد أحدًا!

أما الشخص الذي يكون ذهنه مليئًا بشعور العجز، فقد يعتقد أنه لا يستطيع القيام بشيء، ولا يمكنه أن يكون عبدًا جيدًا، وأن الله لا يرضى عنه "من الناحية العملية" وربما لن يكون قادرًا على أداء العمل الذي يتطلبه.

يجب أن يحتوي كل شعور على كمية صغيرة من وعي العبودية. ولكن عندما تتجاوز هذه المشاعر حدودها، يمكن أن تتحول إلى سم قاتل يؤثر في مشاعر الشخص، وحياته، وروحه، وقوته.

لا نستطيع أن ندرك في كثير من الأحيان ضعفنا أو نعرف العدو الحقيقي الذي اخترقنا، وهو الشيطان.

يمكن للشيطان أن يلعب بتوازن هذه المشاعر لجعلها شكوكًا. إذا كنا نعرف أنفسنا ونكون على علم بضعفنا، ونستطيع تحديد الارتباط بين الضعف وروحانياتنا، يمكن أن يكون تجاوز العقبات أسهل بكثير.

يركز الشيطان في كثير من الأحيان على تشكيكنا حول "المجالات التي نزل فيها ضعيفين". يجب أن نقوم بتحليل المشاعر التي تقلل من قوتنا وتقوض صمودنا. ومن الممكن أن نجد، على الرغم من اختلاف الأحداث، أن الجمل التي نكون قد بنيناها والمشاعر التي نشعر بها تشابه بعضها البعض. سنجد أننا نعيش في سياق حدث سلسلة من المشاعر المتشابهة من الزاوية نفسها، على الرغم من أن الأحداث ربما تكون قضية زائفة.

ولكن إذا كان هناك نقطة ضعف أو مجموعة من المشاعر السلبية، فإن تجميعها عادةً ما يبدأ من الداخل، من خلال الاستشعار والتفكير في الذات.

يرى الإنسان الحياة من خلال نظاراته الملونة... دعونا نخلع تلك النظارات ونلقي نظرة على الأحداث. ربما العالم والأحداث ليست كما تبدو! ربما ذلك الشخص لا يفكر كما نعتقد... أو ربما ليس لهذا الفعل أي علاقة بنا على الإطلاق... ربما ليس لديه أي ارتباط بالشعور العام الذي يتسم به "لا يهتموني!"... ربما لا يفكر على الإطلاق في "تركوني وحيدًا!" في الواقع... ربما لا يكون له أي علاقة بتلك النظرات، المرتبطة ربما بـ "اعتقدوا أنني لم أستطع، لم يرق لهم عملي"...

عندما نسيء إلى علاقات القرابة، وننتهك حقوق الجيران، وننورط في خلاف مع شريك حياتنا، ونصبح عاجزين عن تقديم خدمتنا، نحن في الحقيقة نعطي الشيطان فرصة للفرح.

يركز الشيطان في كثير من الأحيان على تشكيكنا حول "المجالات التي نظل فيها ضعيفين". يجب أن نقوم بتحليل المشاعر التي تقلل من قوتنا وتقوض صمودنا. ومن الممكن أن نجد، على الرغم من اختلاف الأحداث، أن الجمل التي نكون قد بنيناها والمشاعر التي نشعر بها تشابه بعضها البعض. سنجد أننا نعيش في سياق حدث سلسلة من المشاعر المتشابهة من الزاوية نفسها، على الرغم من أن الأحداث ربما تكون قضية زائفة.



بالطبع هما إنسانان ولديهما أخطاء. بالطبع نحن قد نحاول التغلب على ذلك. لا أحد منهم، لكن لا أحد منهم يجب أن يؤثر على موقفهم في حياتنا! لا أحد منهم يعيق احترامنا وخدمتنا لهم. إذا كان هناك شيء يجب تطهيره، فسنقوم بتطهيره معًا! سنتطهر معًا من خلال الدعاء لوالدينا وطلب مغفرتهم. مع كل عفو لهم، سيتم مغفرة الأخطاء التي ارتكبوها ضدنا. وربما سيتم محو تأثيرات هذه الأخطاء السلبية علينا بهذه الطريقة...

عندما نخدمهم ونحترمهم، سنتطهر. سنتطهر بكل ما في وسعنا. بهذه الطريقة فقط يمكن أن نتخلص من أثر الماضي. عندما نلومهم، سيزداد تأثير ذلك. سيتأزم الأمر مع اللوم. سيتعمق الأثر أكثر. عندما نلوم، سنضر ما بيننا وبينهم.

نعم، إذا كان هناك شيء يجب أن نعلمه أو ندركه، فإننا سنركز عليه بلا شك. ولكن عندما ندرك أن كل إنسان إنسان، نستطيع التقدم بالتركيز على الأولويات وفقًا لما يطلبه الله. يرجى أن لا نقضي حياتنا باتهام والدينا بالتوجه إلى طفولتنا والتعلق بها. وإلا فإن أطفالنا سيقومون بمحاسبتنا تمامًا كما فعلنا وبالطريقة البسيطة التي اتبعناها في اتهام والدينا. كل دواء يكمن في داخل المشكلة.

ولا شك أننا عند تقييم الأحداث، قد نجد في بعض الأحيان أن الأمور هي كما نتوقعها بالضبط، ولكن علينا وضع تفهمنا للخير مسبقًا، وذلك لأنه أمر مهم للغاية أن نرى كيف يمكن أن يكون تأثير هذا الضعف والشكوك على مستوى مشاعرنا وحياتنا وروحانيتنا وقدرتنا على التحمل.

إن الكثير من محاولتنا لحل مشاكلنا يمكن أن تكون رحلة عبر طفولتنا، ولكن يجب أن نأخذ ذلك في اعتبارنا فقط في حالة الوعي. لأن تأثير علم النفس الحديث قد يؤدي إلى تحميل الكراهية لوالدينا وتوجيه اللوم إليهم والاعتقاد بأنهم هم المسؤولون الوحيدون عن السلبيات في حياتنا، ولكن ذلك لا يفيد أحدًا! هل هناك نبي أو ولي من أولياء الله فعل ذلك؟

قرأت مؤخرًا بدهشة في حساب أحد المرشدين المعروفين، عن رجل قام بخيانة زوجته مرارًا وتكرارًا وكان يتجول في مواقع البحث عن أصدقاء (!)؛ بسبب أنه لم يتلق حبًا من والديه، وقد أتعب من التحليل الذي أقدم عليه. ولكنني لا أستطيع تحديد التعليق الذي سأقدمه. ولكن في كل سلبية، في كل ضعف لنا، في كل فشل لنا، في كل قلة أخلاق لنا، كيف علمنا أن نحاول تخفيف الوضع عن طريق اللوم على والدينا؟! بالطبع لديها أيضًا تأثيرات!

أثر الاجتهاد الجماعي في تحقيق وحدة الأمة الإسلامية

عنوان المقال...؟، أليس الإجماع هو أقوى دلالة وأثراً، وأولى في تحقيق وحدة الأمة المسلمة وجمع كلمتها...؟. وللإجابة على ذلك لا بدّ من بيان معنى الإجماع بتعريفه، فهو: "اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من العصور على حكم شرعي"، والإجماع



بهذا التعريف الذي ذهب إليه جمهور العلماء متعذر الوقوع، ومما يعسر حصوله بالنسبة للأمور الاجتهادية الظنية لا القطعية، ومع تعذر وقوع الإجماع في وقتنا المعاصر، وما قد يعتري الاجتهاد الفردي من قصور أو عدم إحاطة شرعية أو علمية تامة، كان الاجتهاد الجماعي في أغلب الأحوال هو الملاذ الآمن والأكثر قرباً من الصواب في معرفة حكم الله في المسألة المستجدة أو الواقعة النازلة، وهو في الوقت نفسه أحد أهم عوامل

لقد كان وما يزال الاجتهاد أحد الأصول التشريعية الأساسية التي بها عموماً وبالاكتفاء على وجه الخصوص تدوم هذه الشريعة غضة طرية منسجمة مع تطورات الحياة وتقلباتها، وتمتد ظلها الوارفة لتغطي مختلف جوانب الحياة ونظمها القديمة والحديثة والمستقبلية، ولما كانت الشريعة الإسلامية خاتمة الشرائع السماوية فقد أودع الله فيها من الخصائص والمزايا ما يجعلها صالحة لكل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وجعلها مواكبة لكل النوازل والوقائع المستجدة التي غالباً ما تكون ملامسة لعموم الأمة المسلمة، ومجارية للتطورات مهما كانت متسارعة.

ومن أوسع تلك الخصائص أو المزايا وأقواها وأكثرها مرونة الاجتهاد في فيما لا نصّ، أو فيما فيه نصّ يحتمل الاجتهاد، أو تحقيق مناط أصل قطعي، فالاجتهاد هو النبع الذي لا ينضب، والموارد الذي يروي ظمأ كل فقيه، ويسد كل خلّة، وهو الجسر الواصل بين المصادر التشريعية المعتبرة وبين المسائل المستحدثة الوقائع والنوازل المستجدة، وربما لا أكون مبالغاً إن قلت بأن الاجتهاد هو صورة لاستمرار وحي السماء وكأنه به لم ينقطع، وبه يبقى غضاً طرياً حياً بين أظهرنا، لا تغيب شمس، ولا ينطفئ نوره.

ولعلّ القارئ الكريم يدور في خلدِه السؤال الآتي: لماذا عدلت عن الإجماع إلى الاجتهاد الجماعي في

توحيد الأمة المسلمة ورص صفوفها وجمع كلمتها،
فلذلك عدلت عن الإجماع إلى الاجتهاد الجماعي ليسره
بل لتحقيقه ووقوعه بشكل عملي ملموس.

﴿ تحديد مفهوم الاجتهاد مطلقاً، والاجتهاد
الجماعي. ﴾

ولتحديد مفهوم الاجتهاد سواء أكان فردياً أم
جماعياً لا بدّ من الوقوف على تعريفه العام والخاص.

- الاجتهاد بشكل مطلق: هو "بذل الفقيه وسعه
في استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها
التفصيلية".

- الاجتهاد الجماعي: هو "اتفاق أكثر من فقيه أو
باحث متخصص بالفقه - وإن لم يبلغ درجة الاجتهاد
- على حكم شرعي بعد بذلهم غاية وسعهم في استنباطه
من أدلته".



والملاحظ أنّ (بذل غاية الجهد أو است فراغ الوسع)
هو الجزء الأساسي أو العامل المشترك في تحديد مفهوم
الاجتهاد العام أو الجماعي سواء في التعريفين السابقين
أو غيرهما من التعريفات التي نصّ عليها مختلف العلماء
المتقدمين والمتأخرين أو المعاصرين عند تعريفهم
للاجتهاد، وهذا الجزء الأساسي في حال تحققه من
قبل أكثر من فقيه في مسألة معينة ثم وقوع اتفاقهم على
إصدار حكم واحد في تلك المسألة هو لعمرى أقوى في

إصابة حكم الله في تلك المسألة، وهو أدعى في القبول،
وأكثر طمأنينة في النفس، فهو مع كونه في ذاته حجة
ظنية إلا أنه أقرب ما يكون للإجماع السكوتي في كثير
من المسائل.

﴿ وقفة مع جذور الاجتهاد الجماعي في التشريع
الإسلامي. ﴾

إذا ما اعتبرنا الشورى هي أحد أسس أصول التشريع
الإسلامي ومبدأ عاماً من مبادئه التي لا مرأى فيها،
فإن الاجتهاد الجماعي العلمي الفقهي أصل تشريعي
وأسلوب استنباط فقهي يجسد روح تلك الشورى في
أروع صورة من صورها وأخطرهما في الوقت ذاته،
حيث تأتي مكانته بعد الإجماع دون أن يلغيه بل هو
السبيل المفضي إليه ومقدمة من مقدماته التي لا مناص
منها في كثير من الأحيان، وهو فوق القياس وفوق كل
اجتهاد فردي بنحو عام، وإذا ما أردنا أن نوجد العلاقة
أو الجامع المشترك بين هذه الأمور الثلاثة الشورى
والاجتهاد الجماعي والإجماع فلسوف نجد أنها علاقة
متداخلة متسلسلة يكمل بعضها بعضاً، فالأمر يبدأ
بالشورى، والشورى وإن كان فيها أكثر من اتجاه إنما
ينتج عنها اجتهاد جماعي في الأعم الأغلب من خلال
اتفاق أصحاب كل اتجاه على رأي أو حكم واحد، أو
من خلال اتفاقهم على حكم أو رأي واحد في حال
عدم الاختلاف، وهذا الاجتهاد الجماعي إنما هو مقدمة
تفضي إلى الإجماع في حال اتفاق جميع مجتهدي العصر
على ذلك الحكم، فالاجتهاد عموماً ينتقل في أطوار
ثلاثة، أولها الاجتهاد الفردي، ثم يتطور لينقل إلى
مرحلة الاجتهاد الجماعي، ثم يتطور ليحيط رحاله عند
الطور الأخير وهو الإجماع، وتتفاوت قوة حجية الحكم
الصادر في كل طور من هذه الأطوار بشكل تصاعدي
من الظن إلى الطمأنينة حتى يصل لمرحلة اليقين القطعي
الذي يُقفل البحث معه ولا يجوز لمجتهد يأتي بعده أن
يقربه بالاجتهاد، ويعتبر مبدأ الشورى هو عماد الطور
الثاني والثالث.

- وكما أنّ مبدأ الشورى تأسس وقامت أركانه بأمر من الله تعالى، حيث أمر الله نبيه ﷺ بشورى المؤمنين فقال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران، ١٥٩/٣]

ووصف سبحانه عباده المؤمنين بأن أمرهم بينهم شورى:

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى، ٤٢/٣٨]

وطبق بشكل عملي من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وتدرّب عليه الصحابة رضوان الله عليهم في حياته وعلى يديه صلى الله عليه وسلم، فكذلك هو حال الاجتهاد الجماعي الذي كان تشريعه وتدريب الصحابة رضي الله عنهم على تطبيق ذلك المنهج الاجتهادي في ذلك العهد الميمون المبارك من قبل النبي صلى الله عليه وسلم، وتحت أنظاره وإشرافه، فهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم ينزل عند رأي الأكثرية من الصحابة بالخروج لملاقاة المشركين في بدر بدلاً من ملاقاته العير بعد أن شاورهم في الأمر، وما هذا



الفعل منه صلى الله عليه وسلم إلا تدريب للصحابة رضي الله عنهم على الاجتهاد الجماعي وتشريع له، فالشورى هي النواة الأولى للاجتهاد الجماعي والطريق الموصل إليه، وكذلك كان الحال منه صلى الله عليه وسلم لما قرر التحول إلى أدنى ماء بدر بعد أشار عليه بعض الصحابة، وكذلك في أمر ملاحقة فلول المشركين بعد انتهاء الغزوة، وفي شأن الأسرى وكيفية التعامل معهم، ومن ذلك أيضاً مشورته صلى الله عليه وسلم لأصحابه رضي الله عنهم في غزوة أحد عندما حشدت قريش وسارت لحرب المسلمين في المدينة هل يبقى متحصناً فيها أو يخرج لملاقاة المشركين خارجها، وهذه كلها في شؤون الحرب والسياسة، وأما ما يتعلق بأمور التبعية فمن صوره لما استشار صلى الله عليه وسلم أصحابه كيف يدعو المسلمين إلى الصلاة قبل تشريع الأذان.

- وكذلك كان الحال في عهد الخلفاء الراشدين الذي كان عبارة عن امتداد طبيعي لعصر النبوة واتباعاً عملياً له، وخير مثال على الاجتهاد الجماعي في ذلك العصر المبارك اختيار خليفة للمسلمين بعد وفاته صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة، وكذلك كان الحال فيمن بعدهم من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم حتى غدى طريقة متبعة ونهجاً مقتضى تضيق دائرته في زمان وتوسع في آخر، بحسب ظروف وأحوال كل عصر ورجاله، وإذا ما تأملنا عصر الأئمة المجتهدين أصحاب المذاهب الأربعة وغيرهم في القرن الثاني والثالث الهجري فلسوف نجد أن مبدأ الاجتهاد الجماعي في غالب الأحوال وكثير من المسائل المطروحة كان هو المتبع في اجتهادات هؤلاء الأئمة الأفاضل، فقد كان الإمام يطرح المسألة على الخواص من أصحابه الذين بلغوا شأواً في العلم بأصول الإمام وطرق استنباطه للأحكام وقرسوا على يديه؛ ليبدل كل منهم بدلوه مستدلاً تارة، ومعللاً أخرى، حتى تنضج الأفهام وتستقر الأحكام، ليقرر الإمام بعد التداول القول الفصل في تلك المسألة، ولربما اتفق أصحابه معه

فيما يقرره، ولربما يخالفه بعضهم، ثم تدوّن جميع تلك الاجتهادات في كتب المذهب، ومازلت إلى يومنا هذا تُقرأ وتُدْرَس.

◀ محلُّ الاجتهاد الجماعي المعاصر.

أما محل الاجتهاد الجماعي المعاصر فهو منحصر في ثلاثة مواضع:

أولاً: الاجتهاد فيما لا نصّ فيه:

مما يطرأ ويستجدُّ مما لم يرد في حكمه نصٌّ خاص، وليس له نظير سابق مطابق منصوص على حكمه بحيث ينطوي تحت معناه ويتعدى إليه حكمه. ومن أمثلة ذلك، ما يتعلق بوسائل الاتصالات الحديثة وما يتعلق بها من استعمالات ومعاملات، وكذلك ما يتعلق بأحكام تداول العملات المشفرة كسلعة من السلع، أو كنوع من أنواع النقود في حال قررنا أن علة الثمنية التي في الذهب والفضة هي قاصرة عليهما ولا تتعدى إلى غيرهما، وإلا فإنها تدخل في الموضع الثالث من محالِّ الاجتهاد، ومن أمثلته أيضاً ما يتعلق بالجانب الطبي كبنوك الحليب والحيوانات المنوية ونقل الأعضاء البشرية والتحكم الطبي في جنس الجنين وما شابه ذلك.

ثانياً: الاجتهاد فيما فيه نصٌّ يحتمل الاجتهاد:

من المسائل الاجتهادية التي استمدت أحكامها من النصوص الظنية في ثبوتها، فيكون الاجتهاد حينئذ في سندها وقوة إسنادها، أو الظنية في دلالتها فيكون الاجتهاد في تحديد المعنى المراد من النص ومدى قوته في دلالاته على هذا المعنى، وهذا المحل منحصر فقط في المسائل التي مبنائها القياس أو المصلحة أو العرف أو العادة التي لم تثبت بدليل شرعي، وفي هذا يقول الإمام القرافي في كتابه الفروق ما نصه: "الأحكام المترتبة على العوائد تدور معها كيفما دارت، وتبطل معها إذا بطلت، كالنقود في المعاملات والعيوب في الأعراض في البياعات ونحو ذلك، فلو تغيرت العادة

في النقد والسكة إلى سكة أخرى لحمل الثمن في البيع عند الإطلاق على السكة التي تجددت العادة بها دون ما قبلها، وكذلك إذا كان الشيء عيباً في الثياب في عادة ردنا به المبيع، فإذا تغيرت العادة وصار ذلك المكروه محبوباً موجباً لزيادة الثمن لم ترد به، وبهذا القانون تعتبر جميع الأحكام المرتبة على العوائد، وهو تحقيق مجمع عليه بين العلماء لا خلاف فيه..... وعلى هذا القانون تراعى الفتاوى على طول الأيام فمهما تجدد في العرف اعتبره، ومهما سقط أسقطه، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمتك

يستفتيك لا تجره على عرف بلدك واسأله عن عرف بلده وأجره عليه وأفته به دون عرف بلدك والمقرر في كتبك، فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين وعلى هذه القاعدة تخرج أيان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنایات فقد يصير الصريح كناية يفتقر إلى النية، وقد تصير الكناية صريحاً مستغنية عن النية".

ثالثاً: الاجتهاد في تحقيق مناط أصل قطعي:

نصّ على ذلك الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوْيَ عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [الطلاق، ٢/٦٥]، حيث أمرنا الله تعالى بالإشهاد، وبأن تكون هذه الشهادة من ذي عدل، والعدالة هي: ملكة تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والمروءة، وهذه العدالة هي بين الخلق على ثلاث مراتب، أعلاها لا إشكال فيه كما في سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأدناها وهو من قد خرج منها كمرتكي الكبائر المحدودين فيها، وبين هاتين المرتبتين وسط غامض ومراتب لا تنحصر لا بدَّ فيها من بذل الوسع وهو الاجتهاد، وهذا الموضع من محالِّ الاجتهاد لا يكاد ينتهي حتى قيام الساعة والحاجة إليه دائمة ومستمرة سواء أكانت بالاجتهاد الفردي أم الجماعي.



الإيجابيات والسلبيات العامة للاجتهاد الجماعي.

فكرة الوقوف على سلبيات الشيء وإيجابياته هي عملية نقدية الهدف منها محاولة الإحاطة به من جميع جوانبه الذاتية والموضوعية للوصول إلى تقييم عادل يحدد مدى الجدوى العلمية والعملية في الاستفادة من ذلك الشيء المطروح، ومن تلك السلبيات: ما قد يتعرض له من عوامل ضاغطة تحدُّ من فاعليته أو آثاره، وفي الاستفادة من وسائل التكنولوجيا المعاصرة، وفي التخفيف من البيروقراطية التي غالباً ما تحكم العمل المؤسساتي، وإدارة الأمر بطريقة لا مركزية بالقدر المستطاع، وغير ذلك من الوسائل والآليات ما يؤدي إلى التخفيف أو التقليل من تلك العوامل الضاغطة.

ومن تلك السلبيات أيضاً: ضعف التنسيق أو عدم التنسيق الكامل بين مؤسسات الاجتهاد الجماعي فيما بينها أو فيما بينها وبين المراكز العلمية والبحثية الأخرى التي من تعبر رافداً مهماً لها، مما يؤدي إلى تعدد الآراء الاجتهادية، وإلى توسيع دائرة الاختلاف، وتبديد الجهد والوقت والمال، وإلى عدم تحقيق وحدة الأمة في قراراتها، وعلاج هذه السلبية أيضاً يكمن في تطوير الآليات والوسائل كما أشرت إلى ذلك سابقاً.

وأما إيجابيات الاجتهاد الجماعي: فإنه يسهم إلى حدٍّ بعيد في ضبط الفتاوى الشرعية بشكل عام، وفي الأمور ذات الشأن بشكل أخص، ويعتبر هذا الانضباط أو الضبط للفتاوى أحد أهم عوامل توحيد الأمة الإسلامية ورصّ صفوفها وتعزيز قوتها، ويعوّض عن توقف الإجماع، فهو يبعثُ الطمأنينة في نفوس المسلمين في معرفة الحكم الشرعي الصحيح، وهو خير سبيل للحدّ من الفوضى الاجتهادية والعلمية والدينية التي تصاعدت بعد انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات وغيرها من الأدوات المفتوحة لكل من هبّ ودبّ، والتي غدت بعضها مرتعاً لأنواع من الشذوذ

الفكري أو الجنوح في الإفتاء تحت غطاء التيسير على الناس والمرونة والمعاصرة ومواكبة الحاجات والمصالح. ومن تلك الإيجابيات أيضاً: بثُّ روح الوسطية وتقبل الرأي الآخر وتوسيع المدارك: فعندما يتداول الفقهاء والخبراء المتخصصون المسألة المطروحة للنظر والاجتهاد على اختلاف مذاهبهم وقوة مداركهم، وتنوع مشاربهم الفقهية والفكرية وحتى العقدية داخل الإطار العام لأهل السنة، ويفرغون وسعهم للوصول إلى حكم الشرع فيها خلال عملية تفاعلية تكاملية التي هي قوام الاجتهاد الجماعي ثم يتفقون على حكم واحد يصدر عنهم، فإنّ ذلك ليعث روح الوسطية وتقبُّل رأي الآخر ووجهة نظره، ويفتح الآفاق أمام الباحث أو المفتي أو المجتهد المعاصر، ويجعله يرى الشيء الواحد من زواياه الأخرى التي لربما تغيب عنه في حالة الاجتهاد الفردي، أو حتى الجماعي الذي يكون داخل إطار المذهب الفقهي الواحد فقط، مما يؤدي إلى توسيع مداركه وأسلوب تعاطيه مع الأدلة والمصادر التشريعية المختلفة وطريقة فهمها وكيفية استمداد الأحكام المناسبة منها، كما أنه يسهم في نبذ التعصب لمذهب معين دون آخر أو التقليل منه، مما يجعل الفتوى أكثر انسجاماً مع الواقع وأكثر مرونة وأشمل أثراً، ولعمري إنّ هذا العامل الإيجابي هو من أقوى العوامل والأسباب الدافعة لتوحيد الأمة المسلمة.

إذا أدى وجودها إلى أذى مادي أو معنوي مؤثر، أو إصلاح العيوب الطارئة (المكتسبة) من آثار الحروق والحوادث والأمراض وغيرها، مثل: زراعة الجلد وترقيعه، وإعادة تشكيل الثدي كلياً حالة استئصاله، أو جزئياً إذا كان حجمه من الكبير أو الصغير بحيث يؤدي إلى حالة مرضية، وزراعة الشعر حالة سقوطه خاصة للمرأة، أو إزالة دمامة تسبب للشخص أذى نفسياً أو عضوياً.

- لا يجوز إجراء جراحة التجميل التحسينية التي لا

تدخل في العلاج الطبي، والتي يقصد منها تغيير خلقة الإنسان السوية تبعاً للهوى والرغبات بالتقليد للآخرين، مثل عمليات تغيير شكل الوجه للظهور بمظهر معين، أو بقصد التدليس وتضليل العدالة وتغيير شكل الأنف وتكبير أو تصغير الشفاه وتغيير شكل العينين وتكبير الوجنات.

الخاتمة:

يتضح للقارئ الكريم مما سبق أن الاجتهاد الجماعي هو نوع من أنواع الاجتهاد التي بدأت نشأتها منذ فجر الإسلام في عهد النبوة المبارك، والتي استمرت حتى يومنا الحاضر في منحنى يرتفع تارة وينخفض أخرى، وأنه يركز في قيامه على مبدأ الشورى كما في الإجماع، وأنه - على الرغم من بعض السلبيات التي لا يخلو عنها والتي يمكن تخفيفها من خلال آليات تطبيقية جديدة - يبقى أفضل وأقوى وأكثر دقة من الاجتهاد الفردي المعاصر في الأعم الأغلب منه، وأنه يعتبر أحد أهم عوامل توحيد الأمة الإسلامية ورص صفوفها وتفعيل قوتها الكامنة، وبناء على ما تقدم فلإني أوصي بوضع الآلية المقترحة في هذا البحث لتفعيل الاجتهاد الجماعي قيد التنفيذ وتطبيقها بشكل جاد وعملي من قبل علماء الأمة المسلمة الغيورين على هذه الأمة العملاقة بكل مقوماتها.



بعض النماذج التطبيقية للاجتهاد الجماعي.

١- قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي رقم: ٢٣١ (٢/٢٤)، بشأن التضخم وتغير قيمة العملة:

حيث اتفق العلماء المجتمعون على أنه يُرجع في تقدير التضخم الفاحش إلى التراضي، وعند انعدام التراضي يرجع إما إلى القضاء أو التحكيم حسب الأحوال. وأنه عند حصول التضخم الفاحش بعد نشوء الدين لا مانع من اتفاق الدائن والمدين عند السداد على رد الدين بالقيمة أو توزيع الضرر بين الطرفين صلحاً، ويجوز إمضاؤه قضاءً أو تحكيمياً، ولا يجوز الاتفاق على ذلك عند التعاقد.

٢- قرار مجمع الفقه الإسلامي الدولي المنبثق عن منظمة التعاون الإسلامي رقم: ١٧٣ (١٨/١١)، بشأن الجراحة التجميلية وأحكامها: حيث اتفق العلماء المجتمعون على أنه:

- يجوز شرعاً إجراء الجراحة التجميلية الضرورية والحاجية التي يقصد منها إعادة شكل أعضاء الجسم إلى الحالة التي خلق الإنسان عليها، أو إعادة الوظيفة المعهودة لأعضاء الجسم، أو إصلاح العيوب الخلقية مثل: الشفة المشقوقة، واعوجاج الأنف الشديد، والزائد من الأصابع والأسنان، والتصاق الأصابع



حقوق العائلة

في حركاتها، ويجب على الأبوين أن يكونا عادلين تجاه أولادهم، وأن لا يفرقا بينهم، ويجب على الأبناء أن يكونوا احترامهم ومحبتهم للوالدين غاية الاحترام، وأن يسارعوا إلى خدمتهم.

ومن الأعمال المهمة التي ينبغي على الرجل أن يقوم بها إعطاء كل فرد من أفراد الأسرة التربية الإسلامية، وأن يسعى من أجل فوزهم بسعادة الآخرة. قال تعالى:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ (طه: ١٣٢)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم: ٦)

وقد قام رسول الله ﷺ بتربية أفراد عائلته على المحبة والرحمة، وقد جهزهم للآخرة، فرباهم ورقى أرواحهم وحياتهم المعنوية، وإلى جانب هذا لم يهمل أمر دنياهم، فقد كان النبي ﷺ يبيع محصول التمر الذي كان له من غنائم بني النضير، وبيعه ويخرج منه نفقة عياله لسنة كاملة، ويضع الباقي في بيت المال، وقد استمر النبي ﷺ على هذا المنوال طوال حياته.

الإنسان بفطرته يحتاج إلى بناء عائلة والعيش فيها، فالحياة خارج العائلة حياة خالية عن السعادة والطمأنينة، ولكن من أجل منح السعادة والطمأنينة لأفراد العائلة يجب على كل فرد من أفراد العائلة أن يعرف الحقوق المترتبة عليه، فمن أكبر المسؤوليات والحقوق المترتبة على المرء واجباته تجاه أفراد العائلة لأنهم أقرب الناس إليه. وبالتالي قال الله تعالى:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ (الأحزاب: ٦)

فهناك حقوق لكل من الآباء والأمهات والأولاد على بعضهم البعض، ويجب على المرء أن يجهز زوجته وأولاده للآخرة بأن يربيهم التربية الصالحة، ويؤمن جميع احتياجاتهم من الرزق الحلال بأجمل شكل، ويجب على الزوجة أن تقوم بوظائفها تجاه زوجها بدقة وحساسية، وأن تحمل مسؤولية زوجها وأولادها، وفي المثل: (أنشى الطير هي التي تبني العش)، فيجب أن تكون ذات قناعة، وأن تجتنب الإسراف، وأن تكون صاحبة دراية